# الرعاية الاجتماعية في سياسة الإمبراطور البيزنطى ألكسيوس الأول كومنينوس(١٠٨١-١١١٨م)

دكتور
مصطفى محمود محمد محمد
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية الآدب – جامعة جنوب الوادي

كانت الإمبراطورية "دولةً مكرسة للعمل الخيري" وكان البيزنطيون مهتمين كثيرًا بالفضائل: كالعدالة، والعمل الاجتماعي، والعمل الخيري، والأعمال الإنسانية بشكل عام، وهو ما يعبر عن فلسفة المجتمع البيزنطي تجاه أعمال الخير والإحسان; تلك الفلسفة المستمدة من تعاليم الكتاب المقدس ورجال الكنيسة، بوصف المجتمع البيزنطي مجتمعًا متدينًا وأن الكنيسة بالنسبة له هى الحكم الرئيس على الأخلاق العامة والخاصة، وعليه سعي الأباطرة دائمًا بوصفهم خلفاء للرب على الأرض، إلى التأكيد على هذه الروح الاجتماعية الطيبة، وحس المواطنين على التفاني وحب الآخر، سعيًا للخلاص الأبدي للفرد والمجتمع ككل.

وتهدف هذه الدراسة إلى معالجة عدة نقاط أهمها: فلسفة المجتمع البيزنطي الخيرية، ودور الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الأول كومنينوس(١٠٨١-١١١٨م) في أعمال الخير والإحسان وموقفه من المرضي والعجائز وذوي الاحتياجات الخاصة ودعمه للرهبان ورجال الدين، وموقفه من أسرى الحروب وأعدائه، ودعمه لحقوق الأرامل، واهتمامه الخاص بالأيتام، وأعماله الإنشائية في هذا الصدد، تلك الأعمال التي جعلته في مصاف الأباطرة الأكثر إحسانًا عبر تاريخ الإمبراطورية الطويل.

**الكلمات المفتاحية**

ألكسيوس كومنينوس- الرفاهية الاجتماعية- أعمال الخير والإحسان- الأيتام- الإمبراطورية البيزنطية

.

ماذا لو تجولنا في شوارع القسطنطنية خلال القرن الحادي عشر الميلادي وسألنا أحد المارة البيزنطيين عن طبيعة الأعمال الخيرية في العاصمة، وعن الدافع من وراء إيمان البيزنطيين وقيامهم بأعمال الخير والإحسان؟! بالتأكيد ستكون إجابته معبرة عن فلسفة متأصلة في مجتمع متدين بطبعه، قوامها الكنيسة والكتاب المقدس بوصفهما الحكم الرئيس للأخلاق العامة والخاصة. وانطلاقًا من روح العمل الخيرى المسيحي تلك، أظهر البيزنطيون اهتمامًا خاصًا بفئات المجتمع الضعيفة، كالأيتام والمعوزين وذوي الاحتياجات، الذين خُصصت لرعايتهم وإيوائهم دور خاصة، غالبًا ما كانت تدار بواسطة الأديرة(١).

وهكذا كان العمل الخيري كفضيلة في مفهومه الأيديولوجي وفي تطبيقه الفعلى يتماشي مع المثل المسيحية التي تشبَّع بها المجتمع البيزنطي. وقد تم الترويج له والحث عليه من قِبل الأساقفة والبطاركة في الطقوس التقليدية للكنيسة الأرثوذكسية منذ وقت مبكر من عمر الإمبراطورية البيزنطية، وتجلى بوضوح في التعاليم الآبائية للكنيسة، بوصفه سبيلاً أساسياً لتكوين إمبراطورية تخشى الرب (٢).

وترتكز الفلسفة البيزنطية للعمل الخيري في مفهوم الرحمة؛ خاصة وأن الرب طلب رحمة الإنسان لأخيه الإنسان، وأن لا تكون هذه الرحمة عاطفة عابرة تشتمل على الرأفة والشفقة فقط، بل أيضًا التزامًا واقعيًا ملموسًا، وهو ما تم التأكيد عليه كثيرًا في الكتاب المقدس، وظهر التعبير عنه في العديد من الكتابات التاريخية، وفي أختام الأديرة والكنائس والمؤسسات الاجتماعية الأخرى (٣).

وبناءً على هذا تراحم اليزنطيون فيما بينهم، وعبروا عن هذا الحب والإحسان في جهود حثيثة للتخفيف عن البسطاء والمستضعفين، في محاولة لإرشادهم إلى يقين الإيمان، وتوجيههم نحو حياة هادفة، ففكروا بجدية في "إخوانهم الفقراء"، بما في ذلك المرضى والمشوَّهين، وقدموا الحماية للأيتام والأرامل، وقدموا الإغاثة للمحتاجين وكبار السن والأسرى والغرباء والأجانب المحتاجين، ولم يفعلوا كل ذلك لمجرد سخاء أو إندفاع عاطفي، ولكن فعلوه بدافع المحبة. (4)

وفي حقيقة الأمر; اختلفت الأعمال الخيرية في بيزنطة بمفهوم عصرها، مقارنة بما نفهمه اليوم على أنه عمل خيري ينطوي على تقديم العلاج للمرضي، والاهتمام بعامة الناس، والسعي للتخفيف من معاناتهم؛ حيث لم يكن الأمر كذلك، ففي الفكر البيزنطي؛ اتخذت الأعمال الخيرية أشكالًا متعددة تتمثل في الآتي: أولاً : بعُدًا فلسفيًا ولاهوتيًا مستمد من الكتاب المقدس.

ثانيًا: سمة سياسية مارسها الأباطرة وكبار رجال الإمبراطورية. ثالثًا: صدقة عامة موجهة للفرد المحتاج. ورابعًا: يتمثل ذلك في المؤسسات التي تُقدم تلك الخدمات. وفي حقيقة الأمر نلاحظ أنه كان هناك تشابهٌ بشكل ملحوظ للفهم اليوناني القديم للأعمال الخيرية؛ حيث كانت كل معاني الخيرية هذه سائدة في اليونان القديمة، والمتمثلة في حب الإله للإنسان وحب الإنسان لأخيه الإنسان، وكرم الضيافة، ومساعدة الأيتام والمسنين، والعمل الخيري المنظم والمنتظم، ومع ذلك اتخذت الأعمال الخيرية في بيزنطة أبعادًا جديدة(٥).

وهو ما عبرت عنه مخاوف البيزنطيين الميتافيزيقية –فيما وراء الطبيعة– المتعلقة بمسألة الخلاص وميراث ملكوت الرب الأبدي وتحقيق الكمال على الأرض، ولتحقيق هذا الهدف؛ أصبح بعضهم رهبانًا يعيشون بعيدًا عن متاع الدنيا الزائل، في حين جنح آخرون إلى توزيع ممتلكاتهم على الفقراء والمحتاجين لتحرير أنفسهم وتحقيق غايتهم كنُسّاك، والمتاجرة مع الرب في عمل الخير، مدفوعين بحماسة دينية كبيرة، وهناك فئة ثالثة كرست نفسها لممارسة العمل الخيري داخل المجتمع، كل ذلك من أجل الحفاظ على الحب والمساواة والإخاء والتصدي للشر والأرواح الشريرة، وقد وجد الكثير من البيزنطيين، وسائلَ وطرقًا متعددَة لممارسة الأعمال الخيرية، حتى أن بعض الرهبان طلبوا المال من الأغنياء لتوزيعها على الفقراء، خاصة وأنهم اعتبروا أن العمل الخيري من أهم الفضائل الإنسانية(٦).

ويظهر جليًا أن البيزنطيين، سواء كانوا من الشخصيات الرسمية أو المواطنين البسطاء، أو مسؤولي الكنيسة أو الرهبان المجهولين، فهم في المقام الأول أعضاءٌ في كائن حي ومنظمة واحدة، متمثلتين في جسد المسيح المرئي على الأرض، وكنسيته، ونظرًا لأن الإمبراطور هو خليفة الرب في الأرض، وتجسيدًا للدولة، فقد كان الخادم الرئيس للرب والمدافع عن شعبه المقدس، ولذلك جنح الأباطرة للاهتمام نحو رفاهية الإمبراطورية وإدارتها، وقد كتب يوسابيوس القيصري Eusebius Caesariensis (٢٦٥–٣٣٩م ) (٧) أنه نظرًا لأن الرب يمتلك الأعمال الخيرية، فيجب أن يكتسب الإمبراطور أيضًا نفس الصفة" فالإحسان هو السمة الوحيدة التي تجعل الملك محاكيًا للرب"(٨)، وفي خطاب البطريرك فوتيوس Photios I (٨٥٨–٨٦٧/٨٧٧–٨٨٦م) المُرسل من المنفى إلى الإمبراطور باسيل الأول Basill I (٨٦٧–٨٨٦): راح يشتكي من الظروف القاسية التي يعانى منها، ويطلب من الإمبراطور إظهار إحسانه (epicikeia)

ورحمته و يقول فوتيوس: "نحن لا نطلب العرش الأبوي أو المجد أو الرفاهية أو الراحة، ولكن فقط ما يُعطى حتى للأسرى، ويختتم رسالته بطلب الرحمة من الإمبراطور[٩].

وقد تم التعبير عن روح العمل الخيري كسمة سياسية في الإمبراطورية البيزنطية اللاحقة في قصيدة إرشادية منسوبة إلى الطفل ألكسيوس كومنينوسAlexios Comnenos ، –ابن يوحنا الثاني كومنينوسJohn II Comnenos(١١١٨–١١٤٣م)– وموجهة إلى نيقفوروس برينوس الأصغر Nicephore Bryennios –ابن آنا كومنينوس [١٠] Anna Comnenos (١٠٨٣–١١٥٣م)– نصح المؤلف المُتلقي الإمبراطوري للقصيدة أن يكون فاعل خير ومقلدًا لله لأن الإمبراطور أيضًا يُدعى إلهًا [١١] ويلخص ألكسيوس كومنينوس في هذه القصيدة والتى تُعرف باسم سبانيس"Spaneas" [12]، دوافع العمل الخيري الإمبراطوري في هذه الكلمات الشاملة: "عندما ترى رجلاً فقيراً أو متسولاً، لا تُدِيرْ ظهرك منه، ابني أحب الفقراء إلى ما شاء الرب " وهكذا فإن إرادة الرب هي التي تدفع الإمبراطور إلى الإيمان بالعمل الخيري وممارسته[١٣].

وينطبق الشيء نفسه على الأديرة البيزنطية على الرغم من أنها كانت مؤسسات دينية مستقلة، إلا أنها لبّت احتياجات وتطلعات الشعب البيزنطي للرفاهية الاجتماعية، سواء تجاه العلمانيين أو رجال الدين[١٤]

وفي حقيقة الأمر كان للحضارة اليونانية والرومانية أثر كبير في تشكيل الهوية الثقافية والفكرية للمجتمع البيزنطي، وأثرتا عليه بشكل واضح سواء في المذاق الأدبي، أو الأفكار عن العالم المادي وأنظمته الفلسفية[١٥]، فضلًا عن الجوانب الدنيوية الأخرى كالألعاب والأطعمة، والمهرجانات، والخرافات، ولذلك فمن غير المدهش أن العالم اليوناني الروماني ساعد أيضًا في تشكيل أفكار البيزنطيين التي تشكلت عن الرعاية الاجتماعية للمعوزين الأيتام والطرق التي سلكوها لمساعدتهم [١٦].

ولقد كُتِبَ الكثير عن مصطلح الإحسان في الفترة الكلاسيكية، والرومانية، وفي المسيحية المبكرة، وقد استنتج المؤرخون أن العمل الخيري اليوناني كان قريبًا جدًا من مفاهيم الرأفة والرحمة والتي اعْتُبِرتْ صفة للآلهة والحكام والمواطنين المتحضرين[١٧].

والجلي أن العمل الخيري من منظور لاهوتي: هو حب إلهي تجاه البشرية عبر عنه الرب في صنع الإنسان وتكريمه، وفي مجال الحياة السياسية كان العمل الخيري في المقام

الأول يتمثل في "رحمة القيصر" ، وعادة ما اقْتُرِنَ بصفات مثل (الإحسان) و (والتلطف)؛ وفي قاموس المفردات الخاصة بخطباء وبلغاء القرن الرابع الميلادي ارتبطت الأعمال الخيرية بالتقوى والعدالة والوداعة، وهي صفات تعبر عن المفهوم المسيحي للحب والخير والإحسان [١٨].

وقد استخدم المؤلفون البيزنطيون الكلمة اليونانية Philanthropie والتي تعني " حب الإنسانية" أولاً وقبل كل شيء بمعنى أخلاقي عام لتعني الرأفة والرحمة واللطف وما نحو ذلك بما يحقق مفهوم الرفاهية، وتم استخدام مصطلحات أخرى مثل إليموسيناري Eleemosynary والتي تعني "الإيثار وفعل الخير"، وكلمة يورجيسيا Euergesia والتي تعني "الإحسان"، وغيرها من المصطلحات، التي تدور في فلك واحد حول أعمال الخير والإحسان وحب البشرية [19].

على أي حال كانت الإمبراطورية "دولة مكرسة للعمل الخيري"، وكان البيزنطيون مهتمين كثيرًا بالفضائل: كالعدالة، والعمل الاجتماعي، والعمل الخيري، والأعمال الإنسانية بشكل عام"، وتشبه كلمة فيلانثروبيا البيزنطية مصدرها اليوناني " φιλανθρωπία " philanthrōpía، والذي يعني "الجهود المبذولة لتعزيز رفاهية الإنسان"[٢٠] وبالتالي يمكننا تفسير الأعمال الخيرية البيزنطية على أنها تعني الرفاهية الاجتماعية.

وفي ذات السياق فقد قبل المجتمع البيزنطي كنظيره الغربي الأوروبي، المعايير والضوابط الأخلاقية المستمدة من العهدين القديم والجديد بوصفها أوامر ملزمة، فسعت الحكومة البيزنطية والكنيسة الأرثوذكسية على مدار تاريخها إلى تشكيل المؤسسات والأعراف الدينية وفقًا لتوجيهات الكتاب المقدس؛ حيث إن الكتاب المقدس نفسه أشار" إلى أن المسيح سيكافيء الذين أطعموا الجياع وأوا المتشردين، وزاروا المرضي"[٢١]، وإن كان نظام المؤسسات الخيرية أكثر تطوراً في بيزنطة منه في العالم الغربي في العصور الوسطى[٢٢]، حيث ظل الغربيون مهتمين بمنظومة الرفاهية الاجتماعية البيزنطية؛ والدليل على ذلك وجود العديد من المصطلحات اليونانية التي تشير إلى مؤسسات الرعاية الاجتماعية مثل إكسينودوخيوم xenodochium "الفندق"، بتوخوتروفيوم ptochotrophium" بيوت الفقراء"، نوسوخوميوم nosochomium " الرعاية الصحية"، أورفاناوترفيوم orphanotrophium" رعاية الأيتام"، مكان مخصص للأيتام gerontochomium" جيرونتوخوميوم" " دار اللقطاء أو الأيتام برفانتوريوم brephotrophium " مع وجود تفسيرات لاتينية لها[٢٣].

هذا وقد أظهرت الدراسات الحديثة أنه بدافع الإيمان المسيحي لمساعدة المحتاجين دعم المسيحيون البيزنطيون مجموعة من المؤسسات الخيرية مثل: مستشفيات للمرضى، وملاجئ للمشردين، ودور استراحة للمسنين والمصابين بأمراض مزمنة، وقد طورت الحكومة هذه المؤسسات الخيرية المتخصصة خلال القرن الرابع والخامس والسادس لمساعدة آلاف الفقراء الذين تجمعوا في المدن الكبرى في شرق البحر الأبيض المتوسط مثل أنطاكية والإسكندرية والقسطنطينية[٢٤]؛ فمن منتصف القرن الرابع على الأقل حتى أواخر القرن الثاني عشر، تم تأسيس مجموعة ذات نطاق واسع من المؤسسات الخيرية في الإمبراطورية البيزنطية من قِبل الأباطرة ورجال الكنيسة والرهبان والعلمانيين، وقد أثارت هذه المؤسسات إعجاب المؤرخين المحدثين بشكل خاص تجاه بيزنطة، كمجتمع خيري فريد[٢٥].

ويمكننا في البداية أن نميز بين فئتين من مؤسسي ومديري الأعمال الخيرية البيزنطية، الفئة الأولي: هي الدولة متمثلة في الإمبراطور والكنيسة وتُعبر عنها الأديرة والمؤسسات الكنسية، والفئة الثانية متمثلة في الأفراد؛ ففي الإمبراطورية الرومانية الوثنية، كانت الدولة (التي جسدها الإمبراطور) هي التي مارست وظيفة دعم الفقراء (كل من شملته هذه الفئة)؛ حيث كانت الدولة تميل إلى تقييد النشاط الخاص في توزيع الإعانات؛ لأنه يهدد النظام الاجتماعي[٢٦]، أما الدولة البيزنطية فقد عملت فيها الدولة، والكنيسة الأرثوذكسية، والحركة الرهبانية، والأثرياء معًا لتوفير زينون Xenon (مستشفيات) وجيروكوميا (دور راحة) وزينودوخيا xenodocheia (مساكن) وبتوخيا Ptocheia (ملاجئ للفقراء) للمواطنين المحتاجين في القسطنطينية ودور للأيتام Orphanages في القسطنطينية، وتسالونيكي، ونيقية، ومدن أخرى وحتى قرى الإمبراطورية، من بين هذه المؤسسات الخيرية العديدة[٢٧].

أما عن الفئة المستهدفة للرعاية الاجتماعية في المجتمع البيزنطي، فتشير الروايات التاريخية أن متلقي الصدقة في العالم البيزنطي هم الفقراء وغالبًا ما يظهرون مرتبطين بالأيتام والأرامل والسجناء والجوعى والعطشى وحتى الرهبان والمؤسسات الدينية، والسؤال الذي يطرح نفسه؛ من هم الضعفاء أو الفقراء الذين يحق لهم الحصول على مخصصات حكومية أو كنسية أو خاصة؟ هل هم المحتاجون الحقيقيون فقط أم أن مفهوم المتلقي للرفاهية الاجتماعية أوسع من مفهوم المحتاج؟ خاصة وأنه كان لدى البيزنطيين عدة مصطلحات تشير للفقراء[28] علاوة على ذلك، كان معدل الضرائب على الفلاحين الفقراء أثقل من مثيله على جيرانهم الميسورين[29]

وكان الأقوياء وليس الفلاحون هم الذين مُنحوا الإعفاء الضريبي والذى يسمى إكسكوزاتيو ἐξκουσσεία excusatio [٣٠]

في واقع الأمر، لم يتم اختيار متلقي رفاهية الدولة على أساس الفقر الفعلى لسبب واحد وهو أن الأعمال الخيرية الكنسية والخاصة كانت أكثر توجهاً نحو جميع المواطنين ممن تتوافر فيهم شروط الاحتياج والعجز عن مساعدة أنفسهم، على الرغم من أن غموض الفكرة البيزنطية عن الفقر يترك السؤال مفتوحًا للتفسير، إلا أنه بالتأكيد يمكننا دائمًا العثور على أمثلة للمساعدة التي تلقاها أعضاء الطبقة الاجتماعية الدنيا، بما في ذلك العبيد القدامى، ولكن هل كان هناك نظامٌ للرفاهية أو المساعدة التلقائية التي تدخلت عندما كان الفرد يعاني من ضعف جسدي أو اقتصادي أو عندما يُصاب السكان بكارثة (مثل المجاعة أو الزلزال)؟ نحن على علم بمؤسسات خيرية مختلفة في بيزنطة، لكننا لا نعرف لمن كانت متاحة أو من كان بإمكانه الوصول إلى النُزل والمستشفيات التي تديرها الكنيسة، إلا أنه يمكننا أن نفترض أن الرفاهية الاجتماعية كانت بمثابة صمام أمان لتنظيم فزع واكتئاب الجماهير، خاصة في وقت الكوارث العامة وتقلبات الزمان لجميع أفراد المجتمع [٣١].

هذا وقد نُسب إلى العديد من الأباطرة البيزنطيين الكثير من العمل والتشريع في التخفيف من البؤس العام والخاص، حيث توقع البيزنطيون من حكامهم أن يمارسوا الأعمال الخيرية والإحسان، وأن يطبقوا سياسات إنسانية، ويكبحوا جماح القوة، ويظهروا الحب لرعاياهم؛ فكان يجب على الإمبراطور أن يُقلد الرب في الأعمال الصالحة؛ لأنه بما أن الرب يحكم العالم، فإن الإمبراطور يحكم الدولة، ويجب عليه أن يعكس الصفات الخيرية للملك السماوي، وتُعد أبرز هذه السمات هي حب الخير والأعمال الخيرية، الأمر الذي دفع الأباطرة للاستجابة للطاعة والامتنان لمحبة الرب للبشرية، وعملوا على أن يتركوا سجلاً لرعايتهم في مشاريع بناء الكنيسة والأديرة التي تمثل تكريمًا لإيمانهم، وعلى هذا النحو كان يُعتقد أن الإمبراطور يتلقى إلهامه وردع قراراته ليس كإنسان عادي، ولكن بصفته نائب الرب على الأرض، فكان لزامًا عليه أن يفكر ويتصرف مثل الرب في مسائل العمل الخيري والعدالة وغيرها من الفضائل الأخلاقية والدينية[٣٢].

وتشير الدلائل بقوة، إلى أن العمل الخيري كان يُمارس كفضيلة في حد ذاته، لا سيما من قِبل أشخاص متدينين مثل: الإمبراطور جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧-٥٦٥م)،

وقسطنطين السابع بورفيروجنيتوس *Constantine VII* (٩١٣-٩٥٩م) والإمبراطور ألكسيوس الأول كومنينوس Alexios I Comnenos (١٠٨١-١١١٨م) ويوحنا الثاني كومنينوس وغيرهم كثيرون، وسوف نقتصر الحديث هنا عن سياسة الإمبراطور إلكسيوس كومنينوس تجاه المحتاجين وذوي الاحتياجات وكبار السن والأيتام أولئك الذين فقدوا أسرهم وكان عليهم مواجهة العالم دون دعم من آبائهم وأمهاتهم، وكذلك دعم الإمبراطور لرجال الدين والرهبان، وسنحاول في هذه الدراسة الإجابة على عدد من التساؤلات أهمها من هم الفئة المستهدفة والتي خصهم تحديدًا الإمبراطور ألكسيوس بالرعاية؟ وماذا كان هدفه من وراءه إقدامه على مثل هذه الأعمال؟ وكيف قدم كافة المساعدات المادية والحماية الخاصة لهم؟ (٣٣).

تُعتبر المؤسسات الخيرية ودور العائلة الإمبراطورية فيها متمثلة في بعض الشخصيات البارزة في العائلة الإمبراطورية فصلًا مهمًا في الأعمال الخيرية البيزنطية، حيث تشير الأدلة إلى أن جميع العائلات الإمبراطورية في أواخر القرن الحادي عشر والثاني عشر كانت مشغولة عمليًا بالنشاط الخيري، ويُعد ألكسيوس كومنينوس هو مثال جيد، حيث إنه وفقًا لابنته آنا كومنينوس : كان الإمبراطور ألكسيوس شخصًا إنسانيًا وخيرًا للغاية، تتجلى طبيعته الإنسانية ليس فقط من خلال إنشائه للمؤسسات الخيرية للفقراء والمرضى بل وغيرهم من المحتاجين (٣٤)

لكن قبل أن نتطرق لسياسية الإمبراطور ألكسيوس كومنينوس الخيرية، لابد أن نحاول استقصاء الأسباب والدوافع التي دفعته لنهج سياسة خيرية وصفت بأنها الأعظم في تاريخ الإمبراطورية، فهل كانت دوافعه فطرية كبقية الشعب البيزنطي متمثلة في روح الإيمان المسيحي؟ أم وجوبية بوصفه إمبراطورًا وخليفة الرب على الأرض؟ أم أن هناك أسبابًا أخرى وراء جنوحه تجاه أعمال الخير والإحسان؟

يري بعض المؤرخين أن ألكسيوس بنى صورته كبطل للمسيحية متمثلة في سياسة الخيرية من أجل التغلب على الرأي العام لشعب القسطنطينية؛ حيث إنه لم يتعامل مع المجتمع القسطنطيني بعمق كافٍ، ولم تحقق استراتيجيته الأيديولوجية الهدف المطلوب من التفاف جميع المواطنين حوله، حيث كانت سياسته موجهة في المقام الأول نحو النخبة "الأرستقراطية" وأفراد عائلته؛ وقد وصف ميخائيل أطالياتيسMichael Attaleiates هذه السياسة في أن الإعانات الإمبراطورية للنخبة وزيادة الرواتب لكبار الشخصيات الأرستقراطية قد دفعت الفقراء للقيام بعملية حج جماعي إلى أبواب هؤلاء المنتفعين لعلهم يستفيدون بجزء من الإحسان الإمبراطوري،

وبالتالي لم يكن ألكسيوس قادرًا على مواصلة هذه الممارسة بسبب الأزمة المالية التي كانت تلاحق الدولة، فحصر كرمه المحدود على أفراد عائلته فقط- الذين أسسوا بدورهم الأديرة- وعلى مبادرته الخاصة بوصفه إمبراطورًا لإصلاح وتوسيع دار رعاية الأيتام والمحتاجين في القسطنطينية(٣٥).

وهناك من يرى أن اتجاه الإمبراطور ألكسيوس كومنينوس نحو الأعمال الخيرية وتأسيسة لمؤسساته الخيرية، هو ما كان في ضميره ويحتاج إلى أن يكفر عنه، منها عنف استيلائه على السلطة والحكم عام ١٠٨١م(٣٦)، ومصادرته للمتلكات المقدسة عام ١٠٨٢م(٣٧)، مما تسبب في محنة لجميع التعساء الذين دُمروا أو فُقدوا أو شُردوا أو أصُيبوا في الحروب الأخيرة، وربما الأهم من ذلك، الانتقادات التي أثارها كرمه المفرط لعائلته من رجال الكنيسة البارزين، على الأقل تم توجيه هذا النقد في ذروة حروبه ضد البشناق Pecheneg الأزمة في ١٠٩٠-١٠٩١م ، وبالتالى قد يكون من المعقول أن رؤيته الخيرية هي مجرد تحقيقًا لنذر حتي يفلت من العقاب الإلهي(٣٨).

وفريق أخر يرى أن الدافع كان إقتصادي حيث كان لهذه المؤسسات قيمة اقتصادية، وهى الاستفادة من المؤسسات التي توقف نشاطها خلال الأزمات التي تعرضت إليها الإمبراطورية من قبل، خاصة وأن الكثير من ثروة هذه المؤسسة كانت تُسترد من المؤسسات الدينية الأخرى التي توقف عملها، مثل مؤسسة الجيروكوميا(39) gerokomeia ، ولا يتسع المقام هنا للإشارة إلى عدد المؤسسات التي تأثرت، وتحولت ثرواتها بشكل مباشر لمؤسسة إلكسيوس الخيرية (٤٠).

وهناك رأي آخر يرى أن السبب وراء سياسة إلكسيوس الخيرية هو استجابته لنصيحة القديس كيرلس فيليوتيس Cyril Phileotes (٤١) الذي نصح الإمبراطور باتباع سياسة العدل والسلام والعمل الخيري وأن يعمل بكرم وشرف ومشاعر خيرية(٤٢).

مهما يكن الأمر، ومهما تعددت الأسباب التي ذكرها المؤرخون حول نية الإمبراطور إلكسيوس من سياستة الخيرية، وفي مقدمتهم ابنته آنا كومنينوس والتي حاولت جاهدة أن تبرر حديثها الطيب عن أعمال والدها بقولها "أقسم بالمخاطر التي تعرض لها الإمبراطور من أجل رفاهية الإمبراطورية الرومانية، والمصاعب والكوارث التي عانى منها والدي نيابة عن المسيحيين، أنا بالتأكيد لا أصف هذه الأشياء وأكتبها لمصلحة والدي؛ "لأنه" أينما أدركت أن

والدي قد ارتكب خطأ، فإنني أتجاوز القانون الطبيعي بلا تردد وأتمسك بالحقيقة؛ لأنني على الرغم من أنني أعتبره عزيزًا، إلا أنني لا أزال أعزّ الحقيقة " فلا يوجد سبب للشك في صدق شهادة آنا حول النشاط الخيري لوالدها؛ لأن أعماله في هذا الصدد لخير شاهد ودليل [43].

ففي كتاب الآلكسياد تشير المؤرخة آنا كومنينوس إلى طريقة تعامل والدها الإمبراطور إلكسيوس مع **الأسري من النساء والأطفال والشيوخ** بعد استرجاعهم من أيدي التركمان فتقول: أن الأمبراطور إلكسيوس وهو في طريق عودته من فيلوميليون Philomelium في آسيا الصغري؛ حيث كان هناك عدد كبير من النساء الحوامل واللاتي كن يعانين من آلام الحمل، وكانت إذا أوشكت إحداهن أن تضع حملها، أمر الإمبراطور بدق طبله، لا يكاد يُسمع صداها حتي يكف الجميع عن السير ويتوقف الجيش عن السير ويتوقف الجيش برمته في النقطة التي يكونون قد بلغوها، فإذا وضعت المرأة حملها أصدر أمره بدق طبلة طويلة ذات وقع مختلف عن الأولي إيذانًا بمتابعة السير. كما اتبع نفس الخطة إذا مات أحد حيث كان الإمبراطور يقوم بزيارة الميت بنفسه، ويستدعي القسس لتلاوة الأناشيد المناسبة لأداء مراسيم الوداع الأخيرة للراحل، فإذا فرغوا من إقامة الشعائر الجنائزية المعتادة، وسَّدوا الميت الثرى ثم أذن للجيش بالتحرك[٤٤].

وإذا حلت ساعة تناول الإمبراطور طعامه جاءوا بجميع النسوة الضعيفات، والشيوخ المرضي والعجزة إلى مائدته فيضع هو بنفسه أمامهم جميعًا معظم نصيبه، ونصيب رجاله، فتكون إذ ذاك مأدبة إلهية حقيقية ليس فيها ناي ولا مزمار ولا آلات عزف ولا طبول، ولا تدق فيها كوسات تزعج الجوعي بمثل هذه الأساليب كان ألكسيوس يسد بنفسه حاجات الناس[٤٥]

بالإضافة إلى ذلك كان أليكسيوس محسنًا خاصة تجاه **الأسرى المسيحيين**، حيث يذكر المؤرخ نيقفور برينيوس Nicephore Bryennios (١٠٦٢-١١٣٦م) [٤٦]، أن الإمبراطور إلكسيوس رفض قتل الأسرى من الفرنجة" لأنه بدأ أنه ليس من الصواب قتل المسيحيين أبناء دينه، كذلك وصفه برينيوس بأنه كان ذا قلب طيب وكريم ."[٤٧]

وتمدنا المصادر المعاصرة أيضًا بجوانب من شخصية إلكسيوس **وتعامله مع أعدائه السابقين**، حيث يقال أن المتمرد روسيل بالليل Rouseel Ballile [٤٨] ، الذي جلب الكثير من الدمار على الشعب البيزنطي في آسيا الصغري، إلا أن الكسيوس استطاع بفضل ذكائه ومهارته، أن قام بقطع المؤن عنه، واستطاع إلقاء القبض على روسيل وإعادته إلى القسطنطينية

ولم يقتله أو يعاقبه على العكس من ذلك، أظهر له قليل من "الأعمال الخيرية متمثلة في الرحمة والشفقة"(٤٩).

كذلك موقف ألكسيوس تجاه خصمه نيقفور برينيوس الأكبر Nikephoros Bryennios(50)، والذى كان يخطط للاستيلاء على العرش من نيقفور بوتنياتس (١٠٧٨-١٠٨١م) فتم تكليف ألكسيوس بالقضاء عليه، فاستطاع الأخير أسره، وهنا تُضيف آنا كومنينوس أنه "عندما قام جيشه بتسليم الثائر برينيوس إلى ألكسيوس، أرسله إلى الإمبراطور بوتانيتس، دون أن يلحق أي ضرر في عينيه(٥١)؛ لأنها لم تكن من طبيعة ألكسيوس، الشروع في التطرف ضد خصومه بعد أسرهم، حيث اعتبر أن الأسر كان في حد ذاته عقابًا كافيًا (٥٢).

كذلك عمل على استرضاء عدوه نيقفور ميلسينوس Nikephoros Melissenos (١٠٤٥-١١٠٤م) (٥٣) بأن كافأه بلقب قيصر؛ لأن ميسيلينوس كان على وشك أن يُعلن نفسه إمبراطورًا ويزحف على العاصمة عن طريق الجانب الأسيوي (٥٤)، فحبذ ألكسيوس الدخول في مفاوضات معه دون إراقة دم البيزنطيين ووافق ميسيلينوس من جانبه على هذا العرض، خاصة وأن لقب قيصر كان يلي اللقب الإمبراطوري مباشرة من حيث الأهمية، ويحظي حامله بمكان بارز في المواكب والمآدب الإمبراطورية (٥٥).

وهناك جانب آخر من الجوانب المضيئة في سياسة الإمبراطور ألكسيوس كومنينوس الخيرية، وهي **مساعدته للرهبان والناسكين والأديرة**، من خلال منحهم الطعام والشراب والملابس، والأموال، وكل الأدوات والمعدات التي يحتاجونها، مما جعل المؤرخين يشيدون بمساهمته الإيجابية تجاه الحياة الرهبانية، فعلى سبيل المثال عندما علم ألكسيوس أن القديس كيرلس فيليوتيس مريض زاره بنفسه كي يطمئن على صحته، خاصة أنه اعتبر رجال الدين ممن لهم دورٌ في تحقيق الأمان الروحي لسكان العاصمة، وطلب منه أن يدله على الطريق والمسار الصحيح لهزيمة الأتراك(٥٦)، وقام بمنح دير القديس كيرلس عددًا من الامتيازات الضريبية وبعض النقود (٥٧)، كذلك أظهر الإمبراطور عطفه وكرمه عندما منح القديس ميليتيوس ميوبوليس (١٠٣٥-١١٠٥م)Meletios of Myoupolis (٥٨) ٤٢٢ قطعة ذهبية في السنة من عائدات المقاطعات من أجل الاعتناء بأديرته الخاصة (٥٩)

وفي عام ١٠٩٦م عمل ألكسيوس على تطوير حالة الأديرة وغيرها من المباني الأخرى، وعندما شرع في ذلك منح بطريرك العاصمة الحق في المراقبة والإشراف والتعديل على كل

المباني الكنسية، وأصبح من حق البطريرك أن يزور أي مبنى للتقصي عن أي عيوب أو مشكلات محتملة، وبالتالى كان للبطريرك الحق في أن يطلب من المسئولين إصلاح التلفيات في تلك الأديرة، وبالإضافة لذلك، كان يُعطى للأديرة هبات مالية [٦٠] .

وبالرغم من أن ألكسيوس وجد بعد الاستشارة مع البطريارك نيكولاس الثالث جرماتيكوس(١٠٨٤-١١١١م) Patriarch Nicholas Grammatikos أنه يجب أن يستمر في القيام ببعض التغييرات لكي يقلل من احتمالية سوء استخدام الأديرة بواسطة رُعاتها؛ حيث كان رُعاة الأديرة مستقلين عن الإدارة الإمبراطورية، كما أنهم عاملوا الأديرة دون الاحترام الملائم لها، وكنتيجة لذلك؛ قام الإمبراطور بتشكيل لجنة مكونة من مسئولين دنيويين في الأديرة الكبيرة، حتى يتفرغ الرهبان لأعمالهم الدينية، ولم يعطِ اللجنة الحق في دخول الأديرة فقط، بل منحهم الحق في تأسيسها أيضًا، ولم يكن عليهم رقيب يُشرف عليهم، وهو الوضع الذي رفضه رجال الدين، حيث هاجم يوحنا الأوكسيتى[٦١] John of Oxeia ذلك الأمر، وذكر أن الرُعاة الدنيويين قد سببوا مشكلات عديدة للأديرة. وعاملوا الأديرة بشكل غير مقبول، وانتهكوا ممتلكاتها، ووصلت كنائس الرب إلى حالة يرثى لها وعليه لابد من تغيير ذلك الأمر[62] .

وفي عام ١٠٩٦ م، قام نيكولاس جراماتيكوس بتكوين لجنة تتكون من شماسين الكنيسة، لزيارة الأديرة ورؤية حالتها، وبرغم ذلك لم يسمح لهم هؤلاء الرعاة الدنيويون بالدخول، وأصبحت حالات سوء الاستخدام والاستغلال السلبي للأديرة غير واضحة بالنسبة للجنة، فقرروا الرجوع للإمبراطور الذي أمر بالفعل أن يتم فصل هؤلاء الرعاة المتهمين بسوء استغلال تلك الأديرة المسئولين عنها، وفوض البطريرك بالإشراف على حالة تلك الأديرة بشكل أكثر فعالية[٦٣].

وقد قام ألكسيوس كومنينوس أيضًا برعاية دير موكيوس The Monastery of Mokios في العاصمة البيزنطية، والدليل على ذلك أن هناك صورة جدارية في هذا الدير تصف حجرة الطعام بالدير ويظهر فيها أربعة من الأباطرة وهم باسيل وألكسيوس الذي كان راعيًا له وكان يقدم لرهبانه احتياجاتهم بوفرة وسخاء وابنه يوحنا الثاني (الذي أعطى بسخاء ووفرة أيضا) وحفيده مانويل الأول(١١٤٣-١١٨٠م) (الذي أعطى بوفرة وسخاء أكثر من الآخرين)، كما أنه بنى حجرة الطعام بالدير وقام بإصلاح سقف الكنيسة (وهو عمل مهم وبارز حيث كلف مائة قطعة من الذهب)، ومن الجدير بالذكر توضيح أنه وبينما تُعطي هذه اللوحة تفاصيل معينة فيما يتعلق بمساهمة مانويل في إكمال بناء وتحسين مبنى الدير، إلا أنها ما

زالت غامضة في توضيح جوانب مساهمة كلا من الإمبراطور ألكسيوس والإمبراطور يوحنا، ولذلك؛ فمن المرجح أن كليهما لم يكن مسئولًا بشكل واضح عن المباني البارزة أو الكماليات الإضافية، ولكن اقتصرت مساهماتهم في الهبات بالمال والأرض(٦٤).

كما قام ألكسيوس ببناء ديرٍ للراهبات الأيبيريات الفقيرات الذين توسلوا لطلب الإقامة في العاصمة واللاتى كن يحضرن إلى القسطنطينية ويطرقن على بيوت أهلها مستجديات ساكنيها، لكن ألكسيوس زودهم بالطعام والملابس المناسبة، ولكن يظل وصف آنا لهذا المبنى غامضًا فيما يتعلق بتفاصيل البناء والهندسة وفن التشييد(٦٥).

وقد **تشارك مع ألكسيوس العديد من الأثرياء** في عهده أعمال الخير والإحسان نذكر منهم جريجوري باكوريانوس Gregoire Pacourianos(٦٦) الذي كان يمتلك العديد من المباني والعقارات والحيوانات والخدم، والذي استغل ثروته في خدمة المؤسسات الخيرية، وكتب في وصية نسبت إليه بضرورة استمرار أعمال الخير والإحسان حتي بعد وفاته، وأوصي بإعطاء نقود لكل فقير، وإعطاء الطعام والشراب لكل محتاج، وأن يتم توزيع مبلغ ٢٤ نوميسماتا nomisma على الفقراء في يوم الخميس المقدس، مع ضرورة مساعدة المؤسسات الخيرية بكل ما تحتاج إليه(٦٧)، كذلك سُمح للمرضي بالإقامة في دور الضيافة الخاصة حتى يستردوا عافيتهم، وقُدمت لهم كافة سبل الراحة، وتم توفير أسِرَّة وموقدة للتدفئة لهم(٦٨).

وكان ميخائيل أتالييتس Michael Attaleites أحد الأقطاب الثرية في عهد الإمبراطور ألكسيوس كومنينوس، حيث إنه ذكر الفقراء في وصيته وقدم الأموال الكثيرة للمؤسسات الخيرية، وكان يأمل في تحقيق الكثير قبل وفاته، لكنه طلب أن تُستكمل أعماله الخيرية بعد وفاته، والتي تضمنت توزيع كميات كبيرة من الخبز في كل يوم من أمام منزله بالقسطنطينية على الفقراء والمحتاجين، وفي أثناء حياته كان يدعو ستة من الفقراء لتناول العشاء وعند مغادرتهم كان يعطيهم قطعة من الخبز وأربع حبات من القمح، علاوة على ذلك كان يقدم مائتين وستة عشر موديوي Modioi(٦٩) من القمح للأرامل وكبار السن من المحتاجين إلى الرحمة، حتي أن زوجته كتبت في وصيتها أن كل مهرها، وممتلكاتها ستسلم إلى الجمعيات الخيرية بعد وفاتها، وغيرها من الأعمال الخيرية التي نسبت لها وزوجها(٧٠).

**مؤسسة ألكسيوس الخيرية**

**"دار رعاية الأطفال Orphanntropheion" :**

كانت هناك ظاهرة شائعة في العالم القديم وهي فقدان الآباء لأسباب متعددة أهمها الحروب والمجاعات والأوبئة(٧١)، وتعد فكرة الاهتمام بالطبقات البسيطة، وموضوع الفقر واليتم تحديدًا بالتأكيد يستحق مزيدًا من الدراسة من وجهة النظر الاجتماعية التاريخية(٧٢) .

وتخبرنا المصادر التاريخية أن الأيتام كانوا عرضة للاستغلال والتلاعب؛ حيث إنه لم يكن هناك بديل حقيقي يعوضهم عن الوالدين، خاصة وأن الأوصياء في كثير من الأحيان لم يحموا الأطفال (٧٣) ففي حياة القديس لازاروس(٩٦٦-١٠٥٣م) Lazaros of Mount Galesion ، سرق القرويون ممتلكات إحدى اليتيمات واثنين من اليتامى، وأُجبرت الفتاة على العمل من أجل لقمة العيش(٧٤)، ولذلك وجه الإمبراطور ألكسيوس كومنينوس عنايته تجاه الأيتام وخصص لهم أوصياء كنسيين وعلمانيين، وقام بمراقبتهم في رعايتهم(٧٥).

خاصة الأطفال الذين فقدوا أمهاتهم وآباءهم ومسهم اليتم بضره، فقد عهد برعاية بعضهم إلى أقاربه وبعضهم إلى رؤساء الأديرة بعد أن أوصاهم بهم خيرًا، وطلب منهم أن يعاملوهم معاملة الأحرار لا معاملة الرقيق، وكلفهم بالسهر على تربيتهم تربية فاضلة ليشبوا عاملين بما جاء في الكتب المقدسة، وألحق بعضهم بملاجيء الأيتام التي أنشأها من ماله الخاص وجعلها أقرب ما تكون إلى معاهد يتلقي فيها من شاء ما شاء من العلم، وكلف القائمين بأمر هذه الملاجيء بتعليمهم وتقويم أخلاقهم(٧٦).

هذا وقد طورت الحكومة البيزنطية والكنيسة نظامًا جديدًا لكي توفر لهؤلاء الأطفال الرعاية اللازمة، فابتكرت نظامًا يتضمن أربع طرق للرعاية؛ أولًا: طورت الحكومة مفهوم القانون الروماني للوصاية في جهد للعثور على أوصياء لهم – عادة من بين أقرب أقارب الأطفال – لحمايتهم ودعمهم وتثقيفهم. ثانيًا: طلبت الكنيسة من أساقفتها حصر عدد الأيتام، ثالثًا: أدت الأديرة دورًا في رعاية الأطفال الذين تم التخلي عنهم، وأخيرًا: الكنيسة والحكومة الإمبراطورية دعموا فكرة رعاية الأيتام في القسطنطينية، وتقديم المأوى والمعيشة والتعليم العالي للأيتام البيزنطيين وللعديد من الأطفال من الأراضي البربرية(٧٧) .

وقد عبر ألكسيوس عن شخصيته الإنسانية من خلال تأسيسة عدد من المؤسسات والأنشطة الخيرية التي تحدثت عنها ابنته بفخر واعتزاز حيث تقول: إن ألكسيوس كان إداريًا

ممتازًا في كل من السلم والحرب، وفي أوقات السلم قضي على مشكلة الأيتام ورعاية المسنين والمحتاجين، وحقق العدالة الكاملة للأرامل، ونظر بصرامة شديدة ضد كل حالة من حالات الظلم"(٧٨).

وفي واقع الأمر، كان لدار الأيتام التي أسسها ألكسيوس قيمة شعبية كبيرة؛ حيث إنه كان بمثابة عمل خيري إحساني ذي طابع مسيحي أعجبت وأثنت عليه الكنيسة كثيرًا، حيث كان يكفي لإطعام خمسة آلاف شخص، كما أنه كان مرتبطًا بشكل وثيق بالتجديد الإمبراطوري، والذي ساهم في إعادة الشباب المتشردين إلى القسطنطنية مرة أخرى بعد هجرها(٧٩)؛ الأمر الذي جعل الإمبراطور في مصاف الأباطرة المُحسنيين وفاعلى الخير، مما ترتب عليه من تعزيز وضعه وموقفه السياسي أيضًا، وهو ما دفع ابنه ووريثه على العرش الإمبراطوري أن يحذوا حذوه، ويؤسس دير بانتوركراتور Pantokrator للأعمال الخيرية، والذي أصبح وملحقاته المختلفة، والتي كانت المستشفى أهمها، نموذجًا للتعبير عن "الرفاهية الاجتماعية" للإمبراطور وسلطته(٨٠)، والتي عبر عنهم جميعًا المؤرخ بورناروبولوس Pournaropoulos بقوله: إن هذه المؤسسات المتخصصة في الرعاية الاجتماعية والمساعدة الطبية الخيرية في بيزنطة من جميع النواحي مثالية ومماثلة تقريبًا لمؤسسات اليوم من هذا النوع، حيث كانت فيها أول مستشفي أوروبية مجهزة تجهيزًا كاملاً يعمل فيها الأطباء المتميزين وكانوا على درجة عالية من الثقافة والتدرب العملي يتفوقون على من سواهم آنداك(٨١).

وقد أمدتنا المؤرخة آنا كومنينوس في كتابها الألكسياد بوصفًا مفصلًا عن دار رعاية الأيتام مركزةً على الجانب الإنساني الخيري من شخصية والدها الإمبراطور ألكسيوس؛ حيث أشارت إلى أن والدها الإمبراطور أنشأ دارًا للأيتام، وخصص لهذه الدار خدمًا عهد إليهم خدمة المعوقين دون سواهم، ووفر الرعاية الكاملة للمرضى والأصحاء على قدم المساواة، بالإضافة إلى الأيتام والأرامل وذوي الاحتياجات الخاصة، والفقراء والمحتاجين، وقد أشارت آنا كومنينوس، إلى أن هؤلاء كانوا يعيشون حياة مرفهة، وذلك راجع إلى رعاية الإمبراطور ألكسيوس لهم، الذي خصص من أجلهم وسائل ترفيهية لتخفيف آلامهم، بالإضافة إلى توفير مصادر رزق لهم، حيث زود هذه الدار بأموال طائلة كوقف لها من أجل الصرف عليها؛ حيث كان الإمبراطور لا يكاد يسمع بمزرعة ما تقع في مكان جيد يسهل الحصول عليها حتى يبادر هو من جانبه

ويشتريها، ويجعلها وقفًا لهؤلاء الفقراء والأيتام من أجل توفير ما يحتاجون إليه من طعام وكساء ورعاية خاصة [٨٢].

كان هذا المجمع الخيري كبيرًا للغاية ، حيث احتوى على دار للأيتام ومدرسة وكنيسة كبيرة تضم رجال الدين، ومجموعة متنوعة من الرهبان والمحتاجين، كما ضمت أيضًا نُزلًا للمسافرين والفقراء، ومنزلًا لإيواء المسنين، واشتمل أيضًا على مكان للإدارة المالية[٨٣]، وكان يتكون من مبنى يشتمل على طابقين؛ حيث كان يأوي المسنين والعاجزين مع غيرهم من الكثير من المعاقين الذين يشغلون الدور الأرضي، كما اشتمل أيضًا على الكثير من النزلاء- عضوًا واحدًا لكل مريض- وكان الإمبراطور يمنح هذا العدد الكبير من النزلاء دخلًا كبيرًا[٨٤].

وأقام حولها العديد من المباني التي أوقفها على الفقراء أو بتعبير إنساني أدق كانت بيوتًا يتوافد عليها الفقراء فمنهم الأعمي والأعرج ومنهم الكسيح المُقعد، الذي لا يستطيع الحركة، وغير هؤلاء من كل ذي حاجة تجعله من المعوقين، وتقول آنا كومنينوس أنه لو تسني لك رؤيتها لقلت ما هذا إلا رواق سليمان، كانت المباني على شكل دائري، ويتألف كل مبني من طابقين يقيم في العلوي منهما الضعاف من الرجال والنساء، أما غيرهم ممن لا يستطيعون الحركة فيقيمون في الطابق الأسفل الذي هو في مستوي الطريق، وكانت هذه الدار واسعة جدًا، وتستمر آنا في وصفها: أنك إذا أردت أن تزور الناس الذين بها وتتفقدهم، ثم بدأت جولتك في الصباح الباكر لسوف تصل إلى الليل قبل إتمام هذه الزيارة على هذه الصورة كانت هذه المدينة، وعلى هذا النمط كان سكانها الذين لم يكن عندهم أرض يزرعونها، ولا بساتين يتعهدونها أو أي شيء آخر من الأشياء التي يتكسب منها الناس وتكون مصدر رزقهم ومعاشهم، لكنهم كانوا جميعًا، رجالًا ونساء أشبه ما يكونون بآل يعقوب يسكن كل فريق منهم في الدور التي بنيت له، كما تعطف الإمبراطور عليهم فزودهم بكل ما يحتاجونه من الطعام والكساء، ولعل أعجب الأشياء فيما يتعلق بهؤلاء الفقراء أن القائم والمدبر لكل ما يحفظ عليهم حياتهم كان هو الإمبراطور نفسه، وخدمة الذين يعملون جاهدين من أجلهم حتى لكأن هؤلاء الفقراء هم سادة أو كبار ملاك تدر عليهم ممتلكاتهم دخولًا كبيرة[٨٥] .

وتستمر آنا حديثها عن تلك المؤسسه قائلة: "كان عدد الأشخاص الذين ينعمون بهذه الحياة كبيرًا للغاية لا يحصيه العد مما يجعلني أقول إن عمل الإمبراطور معهم قل أن يُقارن به إلا ما فعله مخلصنا في معجزته-تقصد المسيح عليه السلام- إذ أطعم خمسة آلاف شخص

بخمس أرغفة، أما في حالتنا هذه فنحن إزاء كرم إمبراطوري في توزيع القوت على إخوانه ولقد رأيت بنفسي امرأة عجوزًا تعينها صبية صغيرة، كما رأيت كفيفًا قد أخذه مبصر بيده، ورأيت مُقعدًا يحمله رجل صحيح، ورأيت مبتور اليدين يستعين بأيدي سواه، كما شاهدت أطفالًا ترضعهم حاضنات غير أمهاتهم، وأبصرت مفلوجين يعتمدون على سواهم من الأصحاء الأشداء، والواقع أن عدد الأشخاص في هذه المؤسسة كان كبيرًا للغاية، ذلك أنه كان لابد لكل شخص فيها من أحد غيره يعتني بأمره(٨٦).

من الواضح أن وصف آنا كومنينوس للدار كان وصفًا لمكان حقيقي، ويفترض أن تكون آنا قد زارته بنفسها، حيث أشارت إلى أن دار الأيتام كانت مكونة من طابقين شبه منفصلين الهياكل في "شكل دائرة (٨٧) وقد حددت لنا المؤرخة آنا بشكل دقيق مكان المجمع الخيري الكبير الذي أنشأه والدها، حيث تقول : أنه بالقرب من الحى القريب من الأكروبوليس Acropolis (٨٨) اكتشفوا كنيسة كبيرة جدًا مكرسة للرسول العظيم بولس تمتد من هناك حتي تصل البحر وكان هذا الموضع قريبًا من الكنيسة الكبرى المكرزة لبولس الرسول العظيم، وشيد هنا– تقصد الإمبراطور – في هذه المدينة مدينة أخرى، كما شيد المزار وأقامه على أعلى نقطة حتي لكأنه القلعة، وكانت هذه المدينة الجديدة واسعة ولا أستطيع أن أقول كم كانت طولًا وعرضًا فقد كانت المقاييس تختلف من ناحية إلى أخرى(٨٩).

نلاحظ هنا أن آنا كومنينوس قد حددت مكان دار الأيتام "في أعلى موضع في المدينة" حيث " أنشأ الإمبراطور هذه الدار المخصصة للأيتام وذوي الاحتياجات مثل القلعة بعلوها وشموخها" مما يجعلنا نرفض ملاحظتها السابقة وهي أن موقع تلك الدار كان في "الساحة قريبا من الأكروبولي؛ حيث يتسع مصب نهر بونتوس The Pontos– شرق البحر الأسود– وربما استخدام امراة متعلمة تعليمًا راقيًا وكبيرًا مثل آنا مصطلح " بونتوس" لتصف الخليج أو : خليج كراس "Gulf of the keras" إذا كان مبنى دار الأيتام يقع عند مصب مدخل المدينة في البحر ؛ حيث إن كلمة " بونتوس" في العصور الوسطي كانت تعني البحر المفتوح، وبالتالي، فإن مصب " بونتوس" ربما يعني (وبشكل مؤكد) فتحة مضيق البسفور Bosporos في بحر مرمرة The Sea of Marmara، وفضلا عن ذلك، ففي منطقة شرق الأكروبوليس كانت توجد كنيسة القديس بولس والتي من المرجح أن دار الأيتام كانت ملحقة بها، وكانت تلك الكنيسة، قريبة من الدير وكنيسة القديسين سيرجيوس وباخوس The Church of the

Saints Sergios and bacchos، وكل تلك الأدلة فضلا عن شهادة آنا كومنينوس تدل على أن دار الأيتام كانت تقع حيث يتسع نهر بونتوس، بما يدفعنا للقول بأن دار الأيتام المشهورة كانت تقع بالتحديد في الإقليم جنوب أو جنوب غرب الأكروبوليس [٩٠].

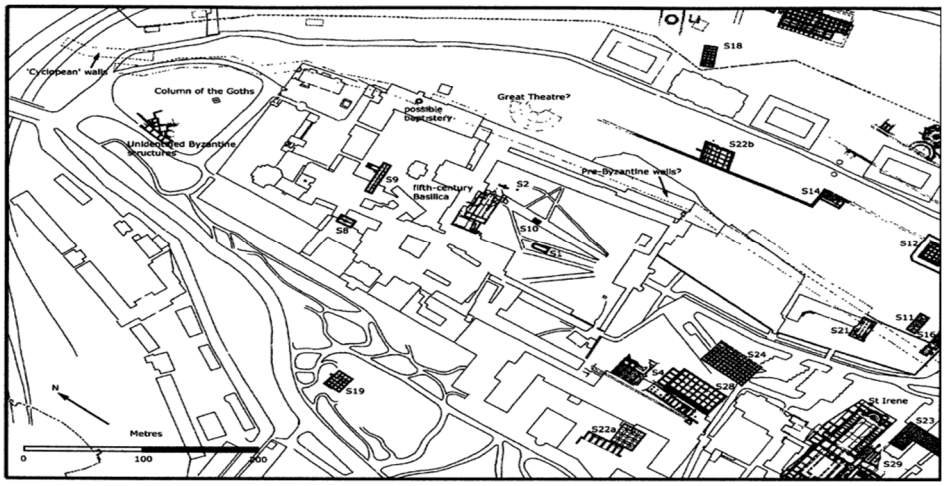


خريطة توضح حي الأكروبوليس والمباني المحيطة حوله[٩١].

ويصف "بول ماجدلينو" المبنى "على أنه مدينة ثانية داخل المدينة الإمبراطورية" حيث قارن بينها وبين أويكوس oikos وهو مبنى إقامه قسطنطين العاشر مونوماخوس Constantine IX Monomachos (١٠٤٢-١٠٥٥م) والذي تكون من قصرٍ، وديرٍ، ومدرسة للقانون، ومنازل للفقراء، ومنازل للمسنين، ونزل للإقامة، ومستشفى[٩٢]. واستمر "ماجدالينو" بوصفه لدار الأيتام التي أنشأها ألكسيوس بأنها أعظم مؤسسة إمبراطورية في العصور الوسطى[٩٣]؛ حيث ضمت منزل أيتام، ومنزلًا للمكفوفين، ومستشفىً عسكريًا، وتمت رعاية حوالي ٧٠٠٠ شخص[٩٤].

ومثلما كان الموقع الجغرافي لمؤسسة ألكسيوس كومنينوس الخيرية موضع نقاش بين المؤرخين وفقًا للمعلومات التي أوردتها آنا كومنينوس، فماذا عن تاريخ نشأة المؤسسة وهل بالفعل الإمبراطور إليسكيوس هو المؤسس الفعلى والأول لها؟

في حقيقة الأمر، كان تاريخ إنشاء هذه المؤسسة الخيرية الكبيرة محل نقاش وجدال بين المؤرخين وإن كان الإمبراطور ليو الأول(٤٥٧-٤٧٤م) يعطينا طرف الخيط في تتبع البدايات الأولي لنشأة دار الأيتام، حيث تشير الروايات المصدرية أن الإمبراطور ليو الأول قد أصدر قانونًا عام ٤٧٢م بشأن حقوق وامتيازات دار الأيتام ومديرها التي أنشأها القديس

زوتيقوس Zotikos في القسطنطينية والذي ارتبط اسمه بالمؤسسة الخيرية الخاصة برعاية الأيتام خلال القرون اللاحقة من عمر الإمبراطورية، وقد أشارت الكتابات التاريخية اللاحقة إلى زوتيقوس بوصفه عائلًا للأيتام في القسطنطنية؛ حيث ذكرت نسخة من القرن العاشر من Patria Constantinopolisأن زوتيقوس كان أول من تولى مديرًا على دار الأيتام Orphanotropheionفي القسطنطينية(٩٥).

ورواية للإمبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١) حددت منزل الأيتام في القسطنطينية على وجه التحديد باسم دار أيتام زوتيقوس (96)، على الرغم من أن المصادر البيزنطية أجمعت على تحديد دار زوتيقوس كأول دار أيتام في القسطنطينية وكمؤسس مبارك لدار أيتام العاصمة إلا أن المصادر التاريخية تشير أيضًا إلى أن الإمبراطور جستين الأول (٥٦٥-٥٧٨م) وزوجته الإمبراطورة صوفيا، هم من قاموا ببناء هذه المؤسسة الخيرية، بالإضافة إلى العديد من المباني والمؤسسات الأخرى ذات الصلة(٩٧)، وأشار "ثيوفانيس" أيضًا، إلى أن الإمبراطور جستين الثاني هو من قام بتأسيسها وبنى حولها كنيسة الرسل The Church of The Holy Apostles (٩٨)، والثابت تاريخيًا أن كنيسة القديس بولس دمرها حريق خلال فترة حكم الإمبراطور زينو Zeno في الفترة (من ٤٧٤-٤٧٥ م و ٤٧٦-٤٩١ م)(٩٩)، وأنه تمت إعادة بنائها مرة أخرى بواسطة جستين الثاني، وإذا افترضنا أن دار أيتام القديس بولس كان مرفقًا ملحقًا لكنيسة القديس بول، إذن فربما كانت دار الأيتام موجودة في الأساس قبل القرن السادس الميلادي، وأنه ربما أعُيد بناؤها بواسطة جستين الثاني (١٠٠).

واستمرت دار أيتام القديس بولس في تقديم خدماتها لعدة قرون حيث يكتب ثيوفانيس أنه كانت تُفرض عليها الضرائب في الجزء الأول من القرن التاسع الميلادي، وعندما كان الامبراطور نيقفور الأول Nicephoros I (٨٠٢-٨١١ م) في حاجة إلى المال لحربه ضد السلاف Slavs والبلغاريين Bulgars، قام بفرض جباية الضرائب الدينية على كل الأديرة والكنائس فضلًا عن فرضه للضرائب "على العديد من المؤسسات الخيرية الإنسانية الكثيرة في بيزنطة ومن بينها دار القديس بولس(١٠١)

وفي عام (١٠٣٢ م) دمر زلزال شديد الكثير من المباني على كُلٍ من الساحل الأسيوي Asiatic Coast والقسطنطينية، كما تدمرت دار أيتام القديس بولس وقام بإصلاحها وترميمها الإمبراطور رومانوس الثالث Romanos III Argyros)(١٠٢٨-١٠٣٤م) (١٠٢)، ويذكر

"كيكاومينوس Cecaumenos" أن دار الأيتام قد عملت أيضا كملجأ للأفراد المفلسين ماديًا(١٠٣). وخلال القرن الحادي عشر، من المؤكد أن دار أيتام القديس بولس قد عانت من المزيد من التدمير، حيث كانت أبوابها مغلقة، وفيما بعد، فقد تمت إعادة بنائها من جديد بواسطة الإمبراطور ألكسيوس، كجزء من برنامج ممتد شامل للأعمال الخيرية والإحسانية التي قام بتنفيذها عند عودته من حملاته العسكرية ضد الأتراك(١٠٤).

ووفقًا لسيرة حياة القديس كيرلس فيليتوس فإنها تشير إلى أن ألكسيوس هو من أعاد دار الأيتام، وقد أشاد القديس بالإمبراطور وأعماله الخيرية الكبيرة، خاصة جهوده في دار الأيتام، تلك المؤسسة التي تم تجديدها حديثًا(١٠٥).

ويضيف يوحنا زوناراس John Zonaras[106] بعض المعلومات المهمة عن هذه المؤسسة الخيرية التي أسسها الإمبراطور ألكسيوس؛ حيث يشير إلى أن تلك المؤسسة لم تكن فقط تجديدًا لمؤسسة قديمة كانت قائمة بالفعل، لكنها كانت أكثر تمركزًا للعديد من المنازل الكثيرة والتي كانت مخصصة ومكرسة لإيواء المسنين والمعوزين، كما بنى داخلها مساكن للراهبات والرهبان ومدرسة للأيتام أو الأطفال الفقراء، وجعل الإمبراطور شخصًا مسئولًا عنها يتولى مسئولية ممتلكاتها، فضلًا عما يمنحه الإمبراطور نفسه من هبات وعطايا(١٠٧).

وقد قدم ميخائيل جليكاسMichael Galyaks [108] معلومات مماثلة، وأشار إلى أنه كانت هناك دارُ أيتامٍ غير مأهولة قام ألكسيوس بتجديدها ومنحها أراضي مختلفة وأضاف إليها مدرسة لتعليم ساكنيها(١٠٩).

ويضيف مؤلف مجهول تكريمًا كبيرًا لدور الإمبراطور ألكسيوس في دار الأيتام ويقول: "ألكسيوس كومنينوس"أعاد بناء دار الأيتام الخيرية وتفضل بإعطائها الوسائل الكافية، بحيث أصبحت ملاذًا آمنًا للعديد من الإخوة الذين يعانون من قسوة الحياة، وأقام لهم سكنًا محافظًا عليهم من كل بلاء، ويضيف المؤلف وصفًا لبعض أقسام هذه المؤسسة التي تضمنت مدرسة للأيتام والأطفال الفقراء والأسرى(١١٠).

ومهما يكن من الأمر؛ فإذا كانت كنيسة القديس بولس ودار الأيتام موجودين من قبل(١١١)، فإن الإمبراطور ألكسيوس كومنينوس ساهم بدور رئيس في زيادة الدخول وبناء المنازل للفقراء والمسنين، واستمرت دار أيتام القديس بول في تقديم خدماتها لعدة قرون(١١٢)، بالإضافة إلى أن الإمبراطور ألكسيوس هو من قام بتجديد المبنى وإصلاحه ومحاكاة مبنىً كان مقامًا

بالفعل في السابق وهو المجمع المجاور لكنيسة للقديس جورج والذي أسسه قسطنطين مونوماخوس عام ١٠٤٥م(١١٣).

على أيه حال؛ فقد كانت دار رعاية الأيتام في عهد الإمبراطور ألكسيوس أبرز مؤسسة للرعاية الاجتماعية في الإمبراطورية البيزنطية آنذاك، وتم التركيز عليها بوصفها مؤسسة ذات طابع ديني مقدس ومدنى أيضًا، وتنعكس تلك الازدواجية في الطابع لتلك المؤسسة في القرن الثاني عشر : حيث اشتملت على رهبان، ورجال دين، ورجال علمانيين مثل ألكسيوس أريستونس Alexios Aristenos(١١٤) الذي جمع بين المنصبين الديني الكنسي والإمبراطوري، وبالتالى فقد مكنت دور الأيتام شخصًا مثل أريستونس من أن يحقق الرعاية القصوى والقيمة الشعبية العامة من الممتلكات الدينية المقدسة، والتي لا يمكن الاحتفاظ بها للرجال العلمانيين، ولكن لشخص يجمع المنصبين (الديني والإمبراطوري)(١١٥).

وقد صورت لنا آنا كومنينوس لوحة أيقونية عن حياة هذه المؤسسة؛ حيث تروي أنه عندما عاد ألكسيوس إلى القسطنطينية من حملته ضد الأتراك، شغل نفسه برعاية الأسرى والغرباء والأطفال الذين فقدوا والديهم، وزعهم ألكسيوس كومنينوس بين أقاربه وغيرهم ممن يعرفهم جيدًا أو أرسلهم إلى رؤساء الأديرة المقدسة مع أوامر بتربيتهم – ليس كعبيد – ولكن كأطفال أحرار يسمح لهم بتعليم شامل في الكتابات المقدسة، كما دخل البعض أيضًا إلى دار الأيتام، التي كان قد أسسها بنفسه، والتي حوَلها إلى مدرسة للراغبين في التعلم، وطلب من رؤسائها إعطاء هؤلاء الأيتام تعليماً عاماً جيداً(١١٦).

وتضيف آنا " أن الإمبراطور لم يكن قادرًا على أن يقول للمقعد" قم وامشِ"، فيقوم ويمشي أو يقول له " احمل فراشك" فيحمله، وما هو بالقادر على أن يقول للأعمى " انظر" فيبصر، ولا لمقطوع الساقين" هيا امش"؛ لأن ذلك كان حقًا مقصورًا على الابن الذي من أجلنا صار بشرًا سكن– من أجلنا نحن البشر– هذه الأرض، أما ألكسيوس فلم يكن في قدرته إلا أن يعمل ما هو ممكن(١١٧).

والشيء الملاحظ هنا أن آنا كومنينوس حاولت عقد مقارنة غير مباشرة بين والدها والمسيح عليه السلام حين تقول أن عدد المحتاجين الذين يتم الاعتناء بهم في دار الأيتام مماثل لتعداد الجماهير التي أطعمها المسيح، وتذكر أنه لا يمكن لوالدها أن يقوم بعمل المعجزات مثل علاج شفاء المشلولين، أو علاج إعاقة رجل كفيف، ولكنه فعل كل ما بوسعه – وهو ما يشعر

القاري أنها تريد أن تجعل قصتها عن والدها تماثل قصة المسيح حيث إن تأكيدها بأن الامبراطور قد ساند دار الأيتام "بكلٍ من الأرض والبحر" ربما يؤكد أيضا على دور الرب الخالق للأرض والبحر، كما تربط بين دار الأيتام ورواق سليمان في المعبد في بيت المقدس، وهو إشارة ضمنية مهمة، حيث إن معبد سليمان تكرر غالبًا كإشارة للمجد والعظمة والفخامة في وصف الكثير من المباني، وذكر آنا لرواق المعبد حيث عالج القديس بطرس فيه رجلًا كسيح"أعرج"، وبالتالى ربما يتضح أن آنا كانت تدعو قارئها للمقارنة بين الإشارات التقليدية لمعبد سليمان بسبب ثرائها بالإشارات الضمنية لهذا المكان كمأوى لإسعاف وعون المحتاجين.(١١٨).

وتقول بأنه كان هناك خدم موكلون بخدمة المعوقين دون سواهم، كما أن نفس الرعاية مبذولة للضعفاء والأصحاء على السواء، ولو شئت أن أصف هذه المدينة الجديدة التي أنشأها أبي منذ أن وضع أول حجر في أساسها لقلت أنه كان فيها أربعة أضعاف من يسعهم المكان أو أكثر، فهناك أناس يقيمون في الطابق السفلي وغيرهم في الذي يعلوه، وغير هؤلاء وهؤلاء من يرعون هؤلاء وغيرهم(١١٩).

ونتيجة لهذه الأعمال شجع القديس كيرلس الإمبراطور ونصحه بأن أعظم خدمة من الممكن أن يقدمها الإمبراطور هي مساعدة أولئك الذين جاعوا روحياً، حيث إن هؤلاء الجياع روحياً كانوا من المسيحيين الذين أعادهم الإمبراطور المنتصر إلى القسطنطينية من غاراته ضد الأتراك السلاجقة في آسيا الصغرى، وكان بعض هؤلاء اللاجئين قد هجروا المسيحية وبدأوا يتعلمون "أعمال الوثنية (الإسلام)" ؛ وبالتالى يجب أن يُعاد تعليمهم مباديء الإيمان المسيحي وتعميدهم في مدرسة الأيتام(١٢٠).

وتضيف جورجينا باكلر Georgina Buckler في دراستها عن آنا كومنينوس أن والدها قدم الكثير إلى كنيسة القديس بولس، وأضافت أنه من المحتمل أن الشماسات خدموا هناك، وكان واجبهم الأساسي هو تمريض ورعاية المريضات والمسنين والأيتام الذين كانوا محصورين في "المدينة الجديدة" للأعمال الخيرية (١٢١).

وقد اتخذ الإمبراطور ألكسيوس كل التدابير والاحتياطات الضرورية لتعليم الأطفال الصغار، كما أنه عين كاهنًا لكي يشرف على تعليم هؤلاء الأطفال، وتم تدريب ستة من هؤلاء الأطفال على أن يعملوا في مجال الكهانة(١٢٢)، ويضيف المؤرخ المجهول أنه كان يتم تزويد دار الأيتام بالطعام والشراب لأعداد كبيرة جدًا من الناس(١٢٣)، كما أن تلك الوجبات كانت تُقدم

وتتم بدون عزف الموسيقى، على عكس المسجونين الذين كان يتبعهم عازفو الترومبيت Trumpet–البوق– [١٢٤].

بالإضافة إلى أنه كان يتم الاعتناء بالأطفال الأيتام في أماكن أخرى أيضًا في الأديرة والكنائس وفي الساحات الرئيسة، والتي من المؤكد أنها قامت بعمل استعدادات مسبقة وتدابير احتياطية خاصة بالأطفال الأيتام، حيث عمل دير القديس جورج باوكورنوس Gregory Pacourianos كمثال على تلك الأماكن، حيث إن القديس جورج والذي عمل في خدمة الإمبراطور ألكسيوس– قام بتسجيل تيبيكون دير بيتريتزيوتيسا Petritziotissa وقام باتخاذ تدابير إضافية "في صالح الأطفال صغار السن جدًا"، ومن غير الواضح من خلال تلك العبارة سواء قام ببناء منزلٍ خاصٍ للأيتام بجوار الدير أو أنه قام باتخاذ الأطفال ببساطة على الدير نفسه ورعايتهم[١٢٥].

**مسئول دار الأيتام Orphanotrophos:**

كانت هناك دور للأيتام في بيزنطة منذ نشأتها، وكانت تحت إشراف المسؤلين والذين يسموا أورفانتوفوسOrphanotrophos [١٢٦]، وهو لقب بيزنطي مهم يُعبر عن مدير دار الأيتام الإمبراطورية في القسطنطنية، وكان هذا المنصب، في ظاهره دليلًا على الرحمة، أكثر من كونه تطورًا وتجديدًا في الحكومة، وكان يتولي إدارة دار الأيتام شخص رفيع المستوى، ويوجد تحت إداراته عدد كبير من الموظفين، وكان هو وطاقم إدارته مسئولين بشكل محدد وصارم عن ماليات تلك المؤسسة[١٢٧]، والتي كان يكفلها البلاط الإمبراطوري[١٢٨] ووفقًا لرواية الإمبراطور ليو الأول التراقي Leo I the Thracian يُشير إلى أن القديس زوتيقوس أول من تولى هذا المنصب[١٢٩].

وفي خطاب ميخائيل بسللوسMichael Psellos (١٠١٨–١٠٨١م) [١٣٠] المتعلق بشخص مسئول عن دار الأيتام ولكنه غير معروف الاسم، فقد ذكر بسللوس على وجه الخصوص أن مدير الأيتام قد عمل كقاضٍ، وأضاف أن المسئول عن دور الأيتام لابد أن يكون ملمًا بقواعد استعادة الممتلكات إلى الأيتام[١٣١].

هذا وقد أدى هؤلاء المسئولون عن دور الأيتام دورًا مهمًا في ضمان إمداد المدينة من الغلال، كما كانت لهم كفاءة قضائية في التشريع بالعاصمة، وكدليل على ذلك؛ فيمكن أن نستشهد أنه وخلال الفترة من منتصف القرن الثامن حتى فترة الإصلاحات القانونية للأباطرة

المقدونيين في نهاية القرن التاسع الميلادي، حكم المسئولون عن دور الأيتام في قضايا الوصاية في المدينة، وهي في الأصل وظيفة قضائية تشريعية يؤديها حاكم مدني في المدن(١٣٢).

في واقع الأمر؛ شغل مدير دار الأيتام والذي يتولى مسئولية إدارة الدار منصبًا مهمًا في الدولة، وبشكل متكرر أصبح هذا الشخص أسقفًا أو ربما بطريارك، وفي القرن الحادي عشر الميلادى، كان مديرو دور الأيتام يديرون شئون الإمبراطورية، وعلى الرغم من ذلك هناك العديد من المعلومات عن مسئول دار ايتام القديس بولس في القسطنطينية(١٣٣). فمدير دار أيتام القديس بولس كان منصبًا إداريًا مهمًا جدًا؛ حيث كان مكلفًا بحمل "رمز العقيدة والايمان" وهو الصليب إلى الامبراطور حتى يتثنى للإمبراطور أن يقبله في الموكب الديني في ساحة الألعاب (١٣٤).

وعلى الرغم من أننا نعرف فقط عددًا قليلًا جدا من هؤلاء الناس الذين عملوا كمديري دور أيتام من القرن الثاني عشر حتى القرن الرابع عشر، إلا أن كل هؤلاء الذين لدينا عنهم معلومات كافية قد درسوا القانون كجزء من تدريبهم، كما أنهم شغلوا بعض المناصب القضائية البارزة، فضلًا عن إدارتهم لدور الأيتام، حيث يشير ثيودور برودروموس Theodore Prodromos (١٣٥) أن ألكسيوس أريستونز كان مُكلفًا ببعض المهام والواجبات القضائية خلال القرن الثاني عشر الميلادي(١٣٦).

وفي عام ١٠٩٠م ابتكر الإمبراطور ألكسيوس كومنينوس منصبًا جديدًا megas logariastes ton euagon sekreton (١٣٧) وهو منصب يعني القاضي الأعلى للمؤسسات الدينية المقدسة، لكي يقوم بالإشراف على الدور والمنازل الدينية الخيرية للبلاط الإمبراطوري، وبعد تطوير هذا المنصب أصبح مقتصرًا فقط على أقاربه من أعضاء البلاط الإمبراطوري (١٣٨).

لقد كان ابتكار هذا المنصب وإعادة تأسيس دور الأيتام، دليلًا واضحًاعلى نظام حكم الفرد الأوتوقراطي الذي أبقى عليه نظام حكم الإمبراطور ألكسيوس، وكان هذا جزءًا من سلسلة الإصلاحات الإدارية الكبيرة التي عمل على تحقيقها الإمبراطور، وكانت دور الأيتام بشكل واضح جزءًا من إعادة تنظيم ماليات الدولة (أي الموارد المالية للدولة)، والتي نتج عنها الإصلاح التام للعملات النقدية، وتدبير تام للجوانب والإجراءات المالية، ومن الصعب ألا يكون الدور المتحسن لـLogothete of the Sekreta لوجارياستيس كقاضي مالى عالي الشأن مرتبطًا

بهذا التطور المالى والإدارى، أو ألا يكون مرتبطًا (أيضًا) بأي جانب آخر من جوانب الإصلاح التي نالت الاهتمام الذي تستحقه: واتضح أن هذا المنصب هو جزء من توسع شامل وتطوير للنظام القضائي في ظل حكم الإمبراطور ألكسيوس، وبشكل مجمل؛ فإن سلسلة الإصلاحات كانت بارزة بل ومؤثرة جدا وأثبتت أن الامبراطور كان مجددًا إداريًا، وأكثر تطورًا وتنظيمًا فيما يتعلق بجوانب الحكومة بشكل أكبر مما أكدته الدراسات الحديثة [١٣٩].

وفي نهاية فترة حكم الإمبراطور يوحنا الثاني كومنينوس، فقد شغل ألكسيوس أريستونز منصب المسئول عن دار الأيتام ومنصب نوموفيلاكس nomophylax – المشرف على التعليم القانوني في القسطنطينية[١٤٠]– وفي وقت لاحق بعد عام ١١٤٣م، حصل أريستونس على واحد من أهم المناصب القضائية في النظام البيروقراطي للقرن الثاني عشر، وهو منصب مدير الديكايدوتس[١٤١] dikaiodotes[١٤٢] . وخلال القرن الثاني عشر، استمر مديرو دار الأيتام في العمل كقضاة إمبراطوريين، وقد اشتهر ألكسيوس أريستينوس بأنه أحد أعظم علماء القانون البيزنطيين، وقام هو وثيودور بلسمون بتأليف شروح ممتازة للقانون الكنسي والمدني البيزنطي[١٤٣].

وقد أشاد نيقيتاس خونياتس Nicetas Choniates (١١٥٠–١٢١٥م)[١٤٤] بيليساريوتيس Belissareotis لكونه مديرًا ممتازًا لدار الأيتام،و نتيجة لقيادته الجيدة، اكتسب بيليساريوتيس العديد من الأطفال الروحيين على الرغم من أنه لم يتزوج أبدًا، ونظرًا لقيادته الحكيمة ونزعته الخيرية ومعاملته الحسنة للأيتام، كل ذلك جعل المؤسسة الخيرية كيانًا لا يمكن الاستغناء عنه، ويشير خونياتس إلى أن السلوك الفاضل لبيليساريوتيس لم يكن هو القاعدة بل استثناء، خاصة وأن الرجال الذين شغلوا هذا المنصب في الماضي، على حد تعبير خونياتس، "زوروا اللقب النبيل للأيتام وغشوه". خاصة عندما قام الخصي المخادع يوحنا بافلاغونيان في القرن الحادي عشر بنهب موارد دار الأيتام لمنفعة أسرته وأشار خونياتس إلى أن مؤسسات الرعاية الاجتماعية البيزنطية عانت على الأرجح من إداريين غير أخلاقيين أكثر مما عانت من غارات العدو أو قلة المحاصيل[١٤٥].

**مدرسة الأيتام:**

أسس الإمبراطور ألكسيوس في مؤسسته الخيرية مدرسًة لتعليم أطفال الفقراء والأيتام، والتي أُقِيْمَتْ على يمين كنيسة القديس بولس، ضم فيها مدرسة الأطفال اليتامى الذين وفدوا

إليها من شتى النواحي، فنجد فيها طفلًا لاتينيًا، وإلى جانبه بشناقيًا يتعلم اليونانية، ويرجع ذلك إلى اهتمام إلكسيوس بالتعليم والدراسة، ولقد خرج من هؤلاء جميعًا شعراء ومؤرخون(١٤٦)، وأضاف زوناروس أنه كان يتم الدفع للمعلمين سواء أكان ديداسكالوسDidaskalos (١٤٧) أو بيداغوجوس paidagogoi (١٤٨) من المنح والأوقاف المخصصة للمؤسسة(١٤٩)، وأصبحت دار الأيتام مركزًا للثقافة الهيلينية، ويكشف اختيار الشخصيات الأدبية الذين خدموا كرواد بيروقراطيين وفي نفس الوقت شغلوا مناصب كنسية عليا، أنَّ المؤسسة حافظت على الثقافة والتعلم المسيحي(١٥٠).

وقد ظلت الإدارة المباشرة فيها للإمبراطور، وقد اختلفت عن المؤسسات الأخرى في العاصمة من حيث تنظيمها وإدارتها وأهدافها، فالأمر الثابت تاريخيًا ولا يمكن إنكاره:أن الإمبراطور ألكسيوس الأول نجح في جمع الأطفال المحرومين في مقره، بصرف النظر عن جنسيتهم، وعمل على إكسابهم لغة علية القوم وتدريسهم المحتوي الذي يسميه البيزنطيون البايديا، والذي يعد استخدامه الصحيح هو ما يميز الإنسان المتعلم عن الجاهل طوال الفترة البيزنطية(١٥١)، وهكذا اتخذ عمله الخيري بُعدًا استثنائيًا أوضحته ابنته على النحو الواجب في الألكسياد، وقد ذكر زوناروس معلومات عن هذه المدرسة والتي تؤكد على أهمية المعلومات التي أوردتها لنا آنا كومنينوس: حيث" مدرسة القواعد διδασκαλεῖον γραμματικών الموجودة بالقرب من دار الأيتام، والمعلمين αλοι و παιδαγωγοί ، الذين تم تعيينهم من قِبل ألكسيوس الأول، لصالح الأطفال الأيتام والمعوزين، وضمانه عيش المعلمين وكذلك الطلاب من خلال المعاشات التقاعدية(١٥٢).

وقد أشاد الراهب كيرلس فيليوتيس – وهو معاصر لآنا ووالدها ألكسيوس – بمدرسة الأيتام لما قدمته من خدمات في تعليم العديد من أيتام الحرب من الأناضول التركية، وهم أطفال وُلدوا مسيحيين، لكنهم بدأوا في استيعاب معتقدات الإسلام، وقد تساعد ملاحظات كيرلس في تفسير فرز الإمبراطور ألكسيوس لأيتام الحرب عند عودته من آسيا الصغرى وتقسيمهم لمجموعات، فالمجموعة الأولى كان لها أقارب في القسطنطينية وبالتالى يتم تعيين أوصياء لهم من أفراد أسرهم، والمجموعة الثانية: والتي وصفتهم آنا كومنينوس على أنهم أتقياء حيث كانوا أيتامًا على أساس متين من المسيحية وبالتالى فهم جاهزون مباشرة للمدارس الرهبانية، والمجموعة الثالثة الأطفال الذين كانوا شبه مسلمين، فاحتاجوا إلى دروس التعليم الديني تمهيدًا

لإعادتهم لأيديولوجيتهم المسيحية، ومن الواضح أن مذاهب الإيمان المسيحي شكلت عنصراً أساسياً في المناهج الدراسية في مدرسة الأيتام(١٥٣).

وقد توقع القديس كيرلس أن تُدرس للأطفال الذين أحضرهم الامبراطور من آسيا الصغرى مذاهب المسيحية في طريق إعدادهم للتنصير، وقد أتى بعض من هؤلاء الأطفال من عائلات مسيحية، ولكن بسبب الغزو التركي، لم يتلقوا أي شكل من أشكال التعليم الديني، ومن المفترض أيضا أنهم لم يمروا بتجربة التنصير، وأشار إلى أن الإمبراطور أليكسيوس قد أسر أو افتدى الأطفال، خصوصًا من بين الـ Scythian السكيثيين وهم البشناق والأتراك(١٥٤).

وفي وصفها للطلاب الذين يدرسون في مدارس الأيتام، فقد صورت آنا بشكل واضح التنوع العرقي للطلاب في دور الأيتام ومدارسها، حيث ذكرت لاتينيين من إيطاليا وفرنسا يدرسون بشكل متقن، كما ذكرت أن السكيثيين يدرسون اللغة الهيلينية، وأطفالًا من روما يتعلمون كيف يكتبون اليونانية، وبيزنطيين غير متعلمين (أميين) يدرسون اليونانية الكلاسيكية(١٥٥).

وتشير الدلائل التاريخية إلى واحد من أهم الشخصيات الأدبية الرائدة والبارزة في الإمبراطورية البيزنطية وهو ثيودور برودروموس بوصفه أحد التلاميذ البارزين في المدرسة الخاصة بالأيتام قبل أن يُصبح معلمًا فيها، حيث قضى حياته في تعليم الأطفال وكتابة ألغاز جدلية لحلها(١٥٦).

وفي تأبينه لمعلمه ستيفن سكيليتزيس Stephen Skylites، ذكر ثيودور برودروموس أن واجبات معلمه السابق في دار الأيتام اشتملت على حث البربر واليونانيين على تعلم أسرار اللغة اليونانية(١٥٧)، وفي تأبينه لـ آنا كومنينوس، فقد ذكر جورج تورنيكس George Tornikes أيضا الكثير من الأيتام والأرامل من عدة أعراق في مدرسة دار الأيتام(١٥٨).

وخلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر، عمل قسطنطين ستيلبيس Constantine Stilbes (١٥٩) في هيئة التدريس بدور الأيتام، وكما يذكر بنفسه، فقد تمثلت مسئولياته الرئيسة في تدريس الإنجيل the Gospels لهؤلاء الأفراد الذين لم يتم تنصيرهم(160).

وتكشف المصادر البيزنطية أيضًا أن دار الأيتام دعمت مدرسة للأطفال والتي أصبحت مركزًا مهمًا للموسيقى اليونانية المسيحية وللثقافة الهيلينية بشكل عام، على الرغم من أن دار الأيتام كانت مؤسسة خيرية في المقام الأول، إلا أنها عملت أيضًا كمأوى مؤسسي ساعد في الحفاظ على قواعد اللغة اليونانية ومختارات مهمة من الأدب اليوناني من الاضطرابات التي

حدثت في أوائل العصور الوسطى وتسليم كنوز الثقافة الهيلينية إلى الأجيال اللاحقة، وساعدت أيضًا في الحفاظ على تأثير الثقافة اليونانية والمسيحية وتوسيعها، ووفرت أيضًا رؤى قيمة فيما يتعلق بالحضارة الرومانية الشرقية بشكل عام(١٦١).

وقد أمدتنا آنا كومنينوس بالعديد من المعلومات والتفاصيل المهمة عن كيفية تعلم الأطفال الأيتام والفقراء داخل هذه المؤسسة الخيرية؛ حيث ذكرت أن الإمبراطور ألكسيوس قد أسس مدرسة للأيتام من أجل تعليمهم النحو، ووصفت واحدًا من المعلمين الذين أحاطه تلاميذه الذين كانوا يناقشونه أسئلة خاصة بالنحو، وصورت عنصرين أساسيين في برنامج دور الأيتام لتعليم اليونانية: وهما كتابة الشيدى Schede، والإعداد للمناقشات الشفهية (162) .

ويرى المؤرخ "ميلر" أن البيزنطيين أو المهتمين بدراسة التاريخ والحضارة البيزنطية لم يفهموا ماذا كانت تعنى آنا كومنينوس بالضبط من خلال كلمة الشيدي، حيث أشارت تلك الكلمة اليونانية القديمة إلى اللغز أو الأحجية، وحتى الآن، فإن الباحثين لا يفهمون بشكل كامل كل التغيرات أو الاختلافات في ذلك التمرين التوجيهي، كما سببت آنا نفسها الارتباك والحيرة من خلال قولها أن الشيدي كانت ابتكارًا جديدًا من ابتكارات جيلها، بمعنى أنها لم تكن موجودة من قبل(١٦٣).

ويأتي أول استخدام لكلمة الشيدي كشكل من أشكال تمرينات التدريس في خطابات ميخائيل بسللوس، وفي أحد رسالاته، فقد وصف الأخير اثنين من الطلاب الأذكياء الذين تمكنوا من تمارين الشيدي التي طرحها عليهم بسللوس كما أنهما طلبا منه أن يكتب لغزًا جديدًا لهم، وأشار إلى أنه هو نفسه قام بنسخ الشيدى وقتما كان طالبًا متعلمًا في المدرسة خلال الفترة ما بين عام ١٠٢٠ و ١٠٢٩م. وبالتالى كان معلمو النحو يستخدمون اللغز/الأحجية الشيدي على الأقل قبل جيل آنا كومنينوس(164)، وربما أنه عندما أكدت آنا على أن التدريس باستخدام الألغاز كان ابتكارًا جديدًا، فإنها كانت تشير إلى استخدام أول الألغاز الشيدي، ولكنها كانت تشير إلى تقديم نوع جديد من هذا التمرين، حيث قامت أيضًا بتصوير الطلاب في دور الأيتام وهم منشغلون بكتابته.

ومع بداية القرن الثاني عشر الميلادي ظهر نوع جديد من الشيدي ارتبط بالمعلمين الذين كانوا يعملون في مدرسة الأيتام التي أنشأها الإمبراطور إلكسيوس؛ حيث كان كلُ من ثيودور برودروموس وستيفن سكيليتزيس معلمين في المدرسة، وعملوا على تطوير الشيدي

خاصة برودرومس الذي حولها إلى " ترنيمة عقلية"، تلك التمارين التي كانت محببه للطلاب والمعلمين في نفس الوقت(١٦٥).

وبالإضافة إلى وصف آنا لدروس النحو، فإنها أكدت على رسالة أخرى أدتها مدارس الأيتام، وهى تعلم اللغة القديمة، وبالتالي، فإن معلمي مدارس الأيتام لم يعلموا تلاميذهم فقط بشكل ديني؛ ولكنهم أيضا علموهم الجوانب المعقدة في اللغة اليونانية القديمة (166).

وقد درس روبرت براوننج Robert Browning بعناية المؤسسات التعليمية في القسطنطينية في القرن الثاني عشر، وربط الأيتام بنظام تعليمى تحت إشراف بطريرك القسطنطينية؛ حيث بدأ العديد من الرجال الذين حصلوا في نهاية المطاف على أعلى الأستاذية البطريركية – ديداسكالوس سفر المزامير، وديداسكالوس الرسول (أي الرسائل)، وديداسكالوس الإنجيل – حياتهم المهنية كمدربين في مدرسة الأيتام، وكان هذا هو الحال مع قسطنطين ستيلبيس والذي بعدما أمضى اثني عشر عامًا من الخدمة المتواضعة في دار الأيتام ، تم تعيينه ديداسكالوس الرسائل(١٦٧).

كما قام الإمبراطور إلكسيوس بتعيين معلمين (ديداسكالوس) ومربين (بيداغوجوس) وقدم راتبًا سنويًا لكلٍ من المعلمين والطلاب(١٦٨)، حيث كان الإمبراطور يحتفظ بحق تعيين المعلمين والمناصب القيادية في المدرسة، ودائمًا ما كانوا تحت إشراف الإمبراطور والبطريرك(١٦٩)، وكان ميخائيل السالونيكي هو مدرس سفر المزامير في كنيسة القديس بولس، وهو المنصب الذي شغله لمدة عشر سنوات(١٧٠) وبالمثل في نهاية القرن الثاني عشر قدم قسطنطين ستيلبيس التعليم اللاهوتي في نفس الكنيسة(١٧١).

ويمدنا مصدر آخر عن صورة أخرى من حياة الأيتام في المدرسة وهو عبارة عن خطبة ألقاها باسيليكوس نيقفورس Nicephoeus Basilakes ضد عدوه السياسي المدعو بوجاسBogoas والخطبة تذكر لنا بشيء من التفصيل حياة بوجاس كطالب في دار الأيتام، فوفقًا لباسيليكوس أن بوجاس كان ينتمي لأسرة فقيرة، الأمر الذي دفع والده إلى إسناد مهمة تربيته إلى عمه، والذي كان يعاني من ضائقة مالية أيضًا، ولم يكن بمقدوره توفير موارد كافية للعيش، فقرر تسليمه إلى معلمي القواعد، وتلك إشارة واضحة لدور الأيتام والتي أصبحت مدارس للنحو بدرجة ممتازة (بشكل واضح) في القسطنطينية في القرن الثاني عشر(١٧٢).

وفي دار الأيتام التقى بوجاس بواحد من الطلاب في صفوف التخرج والذي أصبح فيما بعد معلمًا له، وقد عمل الولد الأكبر بشكل يومي مع بوجاس، كما أنه أدى دورًا كبيرًا في تعليمه، وألهمه عقليًا وأعطاه فرصًا لممارسة دروس النحو، وربما تمثل هذه الطريقة عادة في دور الأيتام والتى كانت لها أصولها في القواعد الوعظية الناسكة وهي الاستفادة من أفضل الطلاب الأكبر سنًا كمعلمين موجهين للأطفال الأصغر منهم (١٧٣).

وفي خطبة باسيليكوس ضد بوجاس تكشف عن أن مدرسة الأيتام استخدمت نوعًا من برنامج النصح والتوجيه للطلاب من خلال تعيين طلاب أصغر سنًا للعمل مع الأولاد الأكبر منهم سنًا الذين كانوا يبلون بلاءًا حسنًا في دراستهم، وعلى الرغم من ذلك، فقد أضافت خطبة باسيليكوس بعض المعلومات فيما يتعلق بحياة الطلاب في دور الأيتام، فطبقا لباسيليكوس: ترك بوجاس مدرسة الأيتام لينضم لرجال الدين في القسطنطينية كما أنه انضم لمجموعة من الرهبان ذوى النشاط السياسي لهم صلة بالبلاط الامبراطوري(١٧٤).

ويرى "ماجدلينو" أن باسيليكوس قد استخدم اسم بوجاس لكي يجعل هدفه الرئيسي من الانتقاد (متنكرًا)، وكان الهدف الرئيس لانتقاد باسيليكوس هو سوتريشوس بانتيجينوس (175) Soterichos Panteugenos وهو بطريارك أنطاكية، وإذا كان ماجدلينو صحيحًا في كلامه، فإن حالة" بوجاس "توضح أن الطلاب من دور الأيتام يمكنهم أن يرتقوا إلى مناصب راقية للغاية في الكنيسة البيزنطية (176).

**قوانين خاصة بالأيتام:**

وعنما قام المشرعون البيزنطيون بعمل تغييرات رئيسة في النظام البيزنطي للوصاية، كانوا يسعون جاهدين عادة لتقديم مزايا أكثر للأيتام، وعلى الرغم من ذلك؛ فقد تم تصميم عدة قوانين بواسطة الإمبراطور ألكسيوس لتحديد الامتيازات التي كسبها الأيتام على مر القرون؛ حيث قضى أحد النصوص التشريعية بأن القضاة يجب ألا يعيدوا للأيتام ممتلكاتهم إذا قام هؤلاء الأطفال من خلال السماح للأوصياء عليهم ببيع أو شراء أو مبادلة ممتلكاتهم إلا بعد بلوغهم سن الرابعة عشر؛ حرصًا عليهم وعلى ممتلكاتهم في المستقبل خشية خداعهم، أو التحايل عليهم، أو إجبارهم على تلك الأفعال(١٧٧).

وفي تشريع آخر، فقد أمر الإمبراطور أنه في حالة تم النصب أو الاحتيال على الأيتام بنسبة أقل من (١٠٪) من ممتلكاتهم، فيمكنهم أن يرفعوا قضايا التماس ضد الأوصياء عليهم،

ولكنهم لا يمكنهم مقاضاة الطرف الثالث الذي اشترى الممتلكات من الأيتام أو باعها لهم، وفي حالة تم التحايل على الأيتام بنسبة تبلغ أكثر من (١٠٪)، يمكن للأطفال الأيتام أن يقاضوا أيًا من الأوصياء عليهم أو الطرف الثالث الذى استفاد من تلك الأعمال القانونية، كما أن هناك أدلة تشير إلى أن ألكسيوس قد أصدر قانونًا ثالثا قام فيه بتقليل حد الوقت، والذي يمكن للأطفال من خلاله أن يستردوا ممتلكاتهم التي يعتقدون أنها أُخذت منهم بشكل غير عادل عندما كانوا تحت رعاية الأوصياء عليهم، وقبل تشريع ألكسيوس كان الأيتام يضطرون أن ينتظروا في بعض الحالات لمدة ثلاثين عامًا بعد وصولهم سن الرابعة عشر حتى يتخذوا إجراءات من أجل استعادة ممتلكاتهم، وقلل قانون ألكسيوس المدة في ظل شروط وظروف معينة لمدة تصل فقط إلى عام واحد بعد أن يصل اليتيم سن الخامسة والعشرين(١٧٨).

ويمكن أن نلاحظ أن ألكسيوس هو الإمبراطور البيزنطي الوحيد الذي تجرأ على أن يقيد الحقوق القانونية للأيتام،لأن ألكسيوس أدرك الآثار غير المقصودة للتشريعات البيزنطية الأولى لحماية الأيتام، خاصة وأن قوانينه لتحديد الامتيازات القانونية للأيتام بسبب أن بعض الأيتام الأثرياء كانوا يسيئون استخدام الامتيازات المتاحة لهم، وبالتالي كانت قوانيه عادلة ومنصفة لكل من الأوصياء والموصى عليهم، وهو عمل لم تمدحه ابنة الإمبراطور فقط، ولكن مدحه وأثنى عليه أيضًا الزاهد كيرلس فيلوتيوس ورجال عصره (١٧٩).

**أبناء الأراخنة"ἈΡΧΟΝΤΟΠΟΥΛΟΙ" ARCHONTOPOULOI:**

شهد عصر أسرة كومنين تطورًا جديدًا في الخدمة العسكرية؛ حيث كان دائمًا يتم إمداد الجيش بعناصر من الشباب الجدد كي يصبحوا جنودًا، وربما ضباطًا من خلال تقليد جديد، ابتدعه الإمبراطور ألكسيوس كومنينوس بتشكيل عسكري جديد ضمن اصلاحاته العسكرية في الجيش يسمي " أبناء الأراخنة"؛ وهو عبارة عن مجموعة عسكرية من الأيتام وهم في الأصل أبناء الضباط الذين ماتوا في معارك سابقة(١٨٠).

ففي أثناء الغزو السلجوقي لآسيا الصغرى البيزنطية بعد معركة ملاذكرد (١٠٧١م)، والحروب المتكررة مع الأجانب، كان هناك عدد متزايد من الأطفال الأيتام، أدى هذا إلى قيام الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنينوس ببدء جهود الإنقاذ، ففي أثناء الصراع مع النورمانديين أنشأ إلكسيوس فرقة أرخونتوبولي Archontopouloi ، وكانت مكونة من ٢٠٠٠ من أبناء الجنود الذين ماتو في المعارك السابقة ومن المحتمل أن هؤلاء كان لديهم القدرة على تسليح

أنفسهم، وبالتالى إنقاذ الجيش وتوفير قدر كبير من المال للدولة [١٨١] وفي عام ١٠٩٠م أثناء مشاركته في حرب ضد البشناق، قام الإمبراطور بتجنيد بعض هؤلاء الأيتام، وتم تسليحهم وتدريبهم لتشكيل نخبة من سلاح الفرسان، والمعروفة باسم ، "أبناء الأرخون (القادة)[١٨٢]، وتقول آنا كومنينوس عن سبب اختيار هذه التسمية هو تذكيرهم الدائم بنبل الوالدين وشجاعتهم، وحثهم دائمًا على الشجاعة والإقدام[١٨٣].

وفي حقيقة الأمر نجد أن المصادر قد أشارت إليهم في سياق الحملات العسكرية، ولم تذكرهم كمدافعين عن الحصون أو الأراضي، ودائمًا ما كان يتم استدعاؤهم كلما احتاج الإمبراطور إلى تجهيز الجيش لخوض غمار معركة، وبالتالى هناك صعوبة في فهم التنظيم الداخلي لهذه النخبة[١٨٤]، وتصفهم آنا كومنينوس بأنهم شجعان للغاية عندما تتطلب الظروف الجراءة والقوة، وأشارت إلى أنهم في أحد المعارك مع البشناق تقدموا بكل حماس وتنظيم؛ لكن البشناق كانوا على عرباتهم في كمين في جوف أسفل التل، فشاهدوا تقدمهم؛ فاندفعوا نحوهم، وهاجموهم وقاتلوا بضراوة، لكن سقط من أبناء الآراخنة ما يقرب من ثلاثمائة مقاتل بعد قتال شجاع وبطولى، وظل الإمبراطور حزينًا عليهم لفترة طويلة وهو يذرف الدموع وينادى كل واحد منهم باسمه[١٨٥].

وقد دخل هؤلاء الأبناء، في أنواع مختلفة من الخدمات الإمبراطورية وعلى الأقل فإن بعضهم قد احتفظ باللقب" أرخونتوبولي" ، حيث كان بعضهم " برونويارز πρόνοια pronoiars [١٨٦] أو متلقين لخدمات إمبراطورية أخرى، كما ظهر بعضهم في مصادر أخرى على أنهم يمارسون واجبات المسئولين الماليين أو يقومون بواجبات وظائف إمبراطورية أخرى، وظهر البعض الآخر منهم على أنهم ملاك أراضٍ[١٨٧].

وأخيرًا يمكن القول؛ أن البيزنطيين بصفة عامة والأباطرة بخاصة اهتموا بأعمال الخير والإحسان، انطلاقًا من روح الإيمان المسيحي سعيًا للخلاص الأبدي؛ حيث كانت الإمبراطورية "دولة مكرسة للعمل الخيري"، وكان البيزنطيون مهتمين كثيرًا بالفضائل: كالعدالة، والعمل الاجتماعي، والعمل الخيري الملموس، والأعمال الإنسانية بشكل عام، وقد سعى الأباطرة بوصفهم خلفاء للرب إلى الأرض على إظهار روح المحبة والإخاء بين أفراد المجتمع، فنجد أن الإمبراطور إلكسيوس كومنينوس كان متسامحًا مع أعدائه من الأسرى، بالإضافة إلى معاملته الطيبة والحسنة تجاه خصومه، ورحمته تجاه المرضى والعجائز الذين كان يشاركهم موائده

الخاصة، كذلك الأرامل، حيث عمل على حماية حقوقهم وممتلكاتهم الخاصة، كذلك أظهر اهتمامًا خاصة برجال الدين وأديرتهم، وكان حريصًا على منحهم الأراضي والامتيازات الخاصة، أضف إلى ذلك أنه أبدى اهتمامًا خاصًا بالأيتام مما دفعه لإنشاء دار للأيتام والتي قدمت لمنتسبيها ليس من الأيتام فقط ولكن من المرضى والعجائز وذوي الاحتياجات، تعليمًا متعدد الجوانب والذي اشتمل على التدريب على الموسيقى، والمذهب المسيحي، والقراءة والكتابة؛ فقد قدمت دور الأيتام أيضًا للطلاب تدريبًا متميزًا راقيًا في النحو والقواعد اليونانية وربما البلاغة، كما أن برامج دور الأيتام مكنت بعض الطلاب من النهوض من الفقر والترقي لمناصب كنسية بارزة؛ مما جعل الإمبراطور ألكسيوس كومنينوس في مصاف الأباطرة المحسنين عبر تاريخ الإمبراطورية الطويل، ومن المؤكد أن مثل هذه المدارس المجانية التي كفلتها دور الأيتام ساعدت في زيادة مستوى التعلم بين الفقراء؛ وبالتالى، ساعد هذا الأمر في تنمية ودعم الحراك الاجتماعي والثقافي في المجتمع البيزنطي.

الهوامش

(1 )Herrin, J.,"Ideals of charity, realities of welfare: The philanthropic activity of the Byzantine Church", In: R. Morris, ed., *Church and People in Byzantium* (Birmingham: 1990),pp. 154 — 66, esp.154-155; L.W. Countryman, *The rich Christian in the church of the early empire: Contradiction and accommodations* (New York: 1980), esp. 103-30.

(٢) جاء في الكتاب المقدس دعوة إلى الرحمة والتراحم بين الناس: مثل" مَنْ يَرْحَمُ الْفَقِيرَ يُقْرِضُ الرَّبَّ" سفر الأمثال (١٩ :١٧) ، وجاء في إنجيل لوقا" كونوا رحماء كما أن أباكم أيضاً رحيم "( إنجيل لوقا: ٦ :٣٦ ) "طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ"( إنجيل متي: ٥: ٧)، فَلاَ نَفْشَلْ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ لأَنَّنَا سَنَحْصُدُ فِي وَقْتِهِ إِنْ كُنَّا لاَ نَكِلُّ (رسالة بولس الرسول الى اهل غلاطية اصحاح ٦:٩). وقد وردت إشارات كثيرة تحث على العمل الخيري ترددت صداها في كتابات آباء الكنيسة، منها على سبيل المثال لا الحصر: وصف كليمنت الكسندري (حوالي ١٥٠ - ٢١٥) للعمل الخيري بأنه أعظم صفات الرب.

Clement of Alexandria. Paedagogus (The Instructor). *The Ante-Nicene Fathers (Grand Rapids*, Mich.: Erdmann's, 1951), vol. II, p. 228;Caner, Daniel, "Charitable Ministrations (Diakoniai), Monasticism, and the Social Aesthetic of Sixth-Century Byzantium"In: *Charity and Giving in Monotheistic Religions,* edited by Miriam Frenkel and Yaakov Lev,( Berlin, Germany: Walter de Gruyter: 2009),pp.45-73, esp.47-48.

وذكر يوحنا ماكجوين John A. McGuckin أن غوريغوري النازيانزي Gregory of Nazianzus (٣٢٩-٣٩٠م) يُقدم في خطبه عن الفقراء والمحتاجين تعليماً مؤداه أن مرضي "البرص" في عصره لم يتركهم الرب، لكنهم كانوا أهدافًا للرحمة الإلهية، واستُخدموا كوسائل مساعدة للإنسان لتعلم شخصية الرحمة من الرب، وكان غوريغوري دائم الحث على فعل الخيرات للتدرب على هذه الرياضة الروحية، ومن أقواله "إن البؤساء والمرضي أيقونات من الرب، يجب على الجميع مساعدتهم، كواجب أخلاقي للعبادة الحقيقية، حتى لا تفسد أيقونات الرب.

John A. McGuckin ,"Embodying the New Society: The Byzantine Christian Instinct of Philanthropy." In: *Philanthropy and Social Compassion in Eastern Orthodox Tradition*, ed.M.Pereira, (New York: 2009), pp.50-71,esp.51.

للمزيد انظر:

Brown, P.*,Power and Persuasion in Late Antiquity: Towards a Christian Empire* (Madison, Wis: 1992),pp. 71 – 117 , esp.77;V.K. McCarty," "Following the Command of Christ: Philanthropy as an Imperial Female Virtue" In: *Philanthropy and Social Compassion in Eastern Orthodox Tradition*, ed. Matthew J. Pereira ,(New York: 2010), pp.144-162,esp.144-145; George Finlat, *History of from its conquest by the Romans to the present time : Mediaeval Greece and the Empire of Trebizond : A.D. 1204 - 1461*, Volume 4, the Bavarian State Library, Clarendon Press, (1877), p.167

والراهب والقديس البيزنطي سمعان اللاهوتي المحدث St. Symeon the New Theologian (٩٤٩-١٠٢٢م) حث على ضرورة عمل الخير، ومساعدة الفقراء، وكبح جماح النفس، ومن أقواله: قل لي يا بني ، ماذا سنجني إذا وزعنا كل ممتلكاتنا على الفقراء دون أن نكبح أنفسنا عن الشر وحب الفضيلة".

Symeon le Nouveau Théologien, *Caliches*, ed. B. Krivocheine (Paris: Editions du Cerf, 1963-65), vol. 1, no. 5

(3 )J A McGuckin. *St. Gregory of Nazianzus: An Intellectual Biography*, (New York: 2001), pp.147-155 ; Demetrios J . Constantelos, *Poverty, Society and Philanthropy in the Late Mediaeval Greek World*, New Rochelle, NY: Ariatide D.Caratzas(1992),p.133.

(4)Demetrios J . Constantelos , *Byzantine Philanthropy and Social Welfare* , ( New Brunswick, 1968 ) p. 66; Robert Byron, *The Byzantine Achievement* (New York: 1929), p. 31

(5 )*Demetrios J . Constantelos , Byzantine Philanthropy and Social Welfare*, p.18.

وفي دراسته المهمة والمكرسة عن الرفاهية الإجتماعية، يلفت البروفيسور ديميتريوس كونستانتيلوس الانتباه إلى التصور البيزنطي للذات كأمة تفوقت في العمل الخيري على جميع الدول الأخرى.

(6 )*Demetrios J . Constantelos , Byzantine Philanthropy and Social Welfare*, p.20; Morris ,R., *Monks and Laymen in Byzantium, 843-1118* , (Cambridge: 2003), p.122

(٧) كان مؤرخًا ومفسرًا للمسيحية، لُقب بأبى التاريخ الكنسي، نظرًا لعمله على تسجيل تاريخ الكنيسة المسيحية في وقت مبكر، لا سيما وقائع التاريخ الكنسي، أصبح أسقفًا لمدينة قيصرية عام٣١٤م، ويُعد من أكثر المسيحيين تعلمًا في عصره، كتب سيرة ذاتية للأمبراطور قسطنطين الكبير(٣٠٥-٣٣٧م).

Justo L. Gonzalez, *The Story of Christianity: Volume 1: The Early Church to the Dawn of the Reformation*,( HarperCollins:2010), pp.149-150

(8)Eusebios, *De Laudibus Constantini*, ed. I. A. Heikel, Eusebius Werke, I (Leipzig: 1902), pp.200-206 .

(9 )Photii Patriarchae Constantinopolitani Epistulae et Amphilochia, II, ed. B. Laourdas and L. G. Westerink (Leipzig, 1984),pp. 163-167; Tougher, Shaun (1997), *The Reign of Leo VI (886–912): Politics and People*, Leiden, (The Netherlands: Brill 1997),pp.70-71.

(١٠) هي ابنة الإمبراطور ألكسيوس كومنينوس، كتبت مؤلفًا عن حياة أبيها وأسمته الإلكسياد Alexiad نسبة إليه ويعكس هذا الكتاب مدي التقدم الفكري والعقلي الذي كانت عليه الأميرة آنا، ومقدار الثقافة التي تحصلت عليها، كأميرة وُلدت ونشأت في الأرجوان الإمبراطوري . ويُعد كتاب الإلكسياد واحدًا من أهم المصادر البيزنطية في القرن الثاني عشر الميلادي، وهو يغطى الفترة من ١٠٦٩م وحتى وفاة الإمبراطور ألكسيوس عام ١١١٨م

Howard-Johnson , J. "Anna Komnene and the Alexiad" In : *Alexios I Komnenos*, ed .M. Mullet & D. Smythe , (Belfast: 1996), pp. 260-302.esp.262

والجدير بالذكر أن كتاب الإلكسياد تُرجم من اليونانية إلى الإنجليزية في ترجمتي سويتر Sewter و داويس Dawes، ثم ترجمه الأستاذ الدكتور حسن حبشي إلى اللغة العربية. وقد اعتمدت الدراسة على ترجمة داويس.

Comnene ,Anna ., *The Alexiad* ,Trans . E.A.S. Dawes , (London:1967).

آنا كومنينا، الألكسياد، ترجمة د.حسن حبشي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤.

(11 )Wanger, Wilhelm, Carmina Graeci Medii Aevi, (Leipzif: 1874), p. 1-4.

( 12) هي عنوان لقصيدة كُتبت باللغة العامية، لا يزال تحديد مؤلفها محل جدال ونقاش بين المؤرخين، لكن الأرجح أنها كُتبت في القرن الثاني عشر الميلادي، يُقال أن كاتبها رجل عجوز، كانت حياته المهنية فاشلة، وكتبها من المنفى، وهي عبارة عن نصيحة للمرسل إليه مستمدة من الكتاب المقدس.

Alice, M. Talbot, " Spaneas ". In: Kazhdan, Alexander (ed.). *The Oxford Dictionary of Byzantium*. Oxford and New York: Oxford University Press(1991).. p. 1935.

(13 )Wagner, *Carmina,* pp. 22, 232; *Demetrios J . Constantelos , Byzantine Philanthropy,p.215*

(14)Norman H . Baynes , *The Byzantine Empire* (London: 1925), p. 74,98.

(١٥) عبد العزيز رمضان، "البيزنطيون بين الهويتين اليونانية والرومانية"، مجلة المؤرخ المصري، يصدرها قسم التاريخ بآداب القاهرة، العدد ٢٨ ، يناير ٢٠٠٥ م، ص ٣٩- ٧٤ .أُعيد نشره في المجلة التاريخية المصرية، مجلد ٤٣ ، ٢٠٠٥ م، ص ٥٣ – ٨٠.

(١٦) على الرغم من أن الحضارة الرومانية أثرت بشكل مباشر في الدولة البيزنطية ونظامها القانوني، إلا أن الحضارة الإغريقية القديمة، قد أحدثت تأثيرا أكبر على المجتمع الروماني الشرقي. فأولًا: تقع العاصمة البيزنطية ومقاطعاتها التي تحكمها في النصف المتحدث باللغة اليونانية من الإمبراطورية الرومانية السابقة، وبالتالي كان الخاضعين للإمبراطور البيزنطي إما من سلالة اليونانيين القدماء أو من هؤلاء الشعوب الذين تحولوا إلى يونانيين في عصر فتوحات الإسكندر الأكبر. ثانيا: إن اللغة الرسمية للإمبراطورية الرومانية كانت في الحقيقة هي اللغة اليونانية القديمة، وبعد منصف القرن السادس الميلادي، استخدمت الحكومة اللغة اليونانية لكل المراسم والقوانين والممارسات القانونية، كما أن الكنيسة البيزنطية ورثت اليونانية من المجتمعات المسيحية في عصور الأنبياء والرسل. ثالثًا: لقد كان للبيزنطيين المتعلمين سهولة الحصول على الأدب اليوناني القديم أكثر من سهولة وصولهم للأعمال اللاتينية. ولذلك تعد دراسة كيفية تناول الأدب اليوناني لموضوع الرعاية الاجتماعية، بالإضافة إلى معرفة التأثير الروماني في هذا الجانب والذى كان له دورٌ كبير في تتبع ثقافة المجتمع البيزنطي وبناء خلفية أيديولوجية أثرت بالتأكيد على سلوكيات وإدارة البيزنطيين لموضوع الرعاية الاجتماعية وعليه يجب التركيز بشكل حصري على دراسة النصوص القانونية والأدب اليوناني/الإغريقي – مشتملا على الشعر الملحمي، والدراما، والبلاغة (الخطابة)، والفلسفة السياسية، وسير القديسين – وهي تلك النصوص الكلاسيكية التي أثرت بشكل كبير وبارز على فكر وأيديولوجية الصفوة في المجتمع البيزنطي.

Timothy S. Miller , *The Orphans of Byzantium : Child Welfare in the Christian Empire* ( Washington , D.C : 2003),pp.23-24;Wilson, N. G. *Scholars of Byzantium.* Baltimore: (Johns Hopkins University Press:1983),pp.1-27

(17 )Kazhdan, Alexander "Byzantium and Social Welfare" In E . A . Hanawalt / C . Lindberg ( eds . ) , *Through the Eye of a Needle : Judeo - Christian Roots of Social Welfare*, (Kirksville: 1994),pp.67-82,esp.68; R. Le Deaut. 'Philanthropia dans la littérature grecque jusqu'au Nouveau Testament.' Mélanges Eugène Tissserant vol. 1. (Rome: 1964), pp.255-29 ; Bell, H. I. 1, 'Philanthropy in the Papyri of the Roman Period', Hommages à Joseph Bidez et à Franz Cumont, Collection Latomus II, (Brussels: 1948), pp. 31–37

(18)Kazhdan, "Byzantium and Social Welfare", p.68

(19 ) Kazhdan, "Byzantium and Social Welfare",p.70

على نفس المنوال; استخدمت النصوص البيزنطية اللاحقة مصطلح الأعمال الخيرية دون تحميله بمعنى خاص بالعمل الخيري. وفي النص القانوني إيكلوجا Ekloge الذي يعود للقرن الثامن الميلادي للقرن الثامن، يظهر المصطلح مرة واحدة فقط ، وخاليًا من أية دلالة على الرفاهية الاجتماعية; إنما كان بغرض الرأفة واللطف.

Ecloga.*Das Gesetzbuch leons III. und Konstantinos' V.*,ed.L.Burgmann(Frankfurt a.M.: Lowenklau-gesellschaft: 1983), p.160

(٢٠) تنقسم الكلمة اليونانية "philanthrōpía" إلى مقطعين الأول"phil" والذي يعني "محب" والثاني "anthrōpía" والذي يعني البشرية، وبالتالي فإن المصطلح يعني المحب للبشرية والعمل على رفاهية الإنسان والتي شارك فيها الرجال والنساء والسادة والعبيد على حد سواء.

Nicolette Naylor and Halima Mahomed," An exploration of love in the time of inequality: philanthropy and social justice", In : *Handbook on Global Social Justice,* ed. Gary Craig, (Edward Elgar Publishing: 2018), pp.428-446,esp.429.

(٢١) إنجيل متي(٢٥: ٣١-٤٦).

(22)Henry E. Sigerist, "An Outline of the Development of the Hospital," *Bulletin of the History of Medicine* 4 (1936),pp.573-581,esp.579ff

(23) B. M. Kaczynski, "Some St. Gall Glosses on Greek Philanthropic Nomenclature." *Speculum* 58 (1983), pp.108-1017,esp.1010f ; Bernice M. Kaczynski, *Greek in the Carolingian Age. The St. Gall Manuscripts* (Cambridge, Mass.: Medieval Academy of America: 1988),p. 61.

(24 )Miller .Timothy, "The Care of Orphans in the Byzantine Empire," In: *Medieval Family Roles: A Book of Essays*, edited by Cathy Jorgensen Itnyre (New York, London: Garland Publishing, Inc., 1996), pp. 121-136, esp.121.

(25 )Brown, Peter ,*Poverty and Leadership in the Later Roman Empire*, (London: 2002), pp. 33-34.

(26 )Kazhdan, "Byzantium and Social Welfare", p.70.

(27)Timothy S. Miller, "The Orphanotropheion of Constantinople," In: *Through the Eye of a Needle : Judeo - Christian Roots of Social Welfare*, (Kirksville: 1994),pp,83-104,esp.83.

(28)Patlagean , E.,.*Pauvreté économique et pauvreté sociale à Byzance* ( Paris : 1977 ),pp. 25ff.

(29)Angeliki E . Laiou - Thomadakis , *Peasant Society in the Late Byzantine Empire* ( Princeton : Princeton Univ . Press : 1977 ),p. 180.

في الحقيقة أصبح دعاة الفقر ، والمتقشفون، والملهمون، أصحاب سمات متميزة في المجتمع حيث إنهم لم يتركوا الأمر لله ليطعمهم وهو يطعم الطيور الصغيرة ، لكنهم أطلقوا العنان الكامل لجشعهم وذكائهم وغالبًا ما كان الأمر يبدو سهلاً للغاية، لأنه في هذه الإمبراطورية المتدينة كان من المعتاد التبرع بسخاء للكنيسة علاوة على ذلك، كانت الكنيسة في البداية، هي التي تدير المؤسسات الخيرية المختلفة - دور الأيتام ، ومنازل المتعذرين ، ومنازل المسافرين، وقد وجد هؤلاء ضالتهم في مثل هذه المساعدات دون الحاجة إلى العمل والتعب.

Rene Guerdan , *Byzantium : Its Triumphs and Tragedy* ,( New York: 1957), p. 85.

(30)Ostrogorsky, G., *Pour l'histoire de la féodalité byzantine* (Brussels: Institut de Philologie et d'Histoire Orientales et Slaves: 1954), p.337

إكسكوزاتيو : هي إعفاء من أي ضريبة أو رسوم بخلاف ضريبة الأملاك الأساسية، وغالبًا ما يتم منحه للمؤسسات الدينية والخيرية، من أمثلة الإعفاء الضريبي: أن الإمبراطور قسطنطين السابع في عام ٩٤٦/٩٤٥م منح الإعفاء لدير برودروموس Prodromos at Leontia بالقرب من تسالونيك.

Oikonomides,N., *Fiscalité et exemption fiscale à Byzance (IXe-XIe s.)*, Fondation nationale de la recherche scientifique, Institut de recherches byzantines,( 1996), p.156; Mark C. Bartusis, *Land and Privilege in Byzantium: The Institution of Pronoia*,(Cambridge: 2012),p.76.

(31 ) Kazhdan, "Byzantium and Social Welfare",p.78.

(32 )Norman H . Baynes , *The Byzantine Empire* ( Home University Library , (London :1925), p.70

(٣٣) تشير الروايات التاريخية أن الإمبراطور جستنيان الأول وثيودورا قد شيدا " نُزُلًا ضخمة بجانب البحر بالقرب من الأكروبوليس لاستقبال سكان وأهالى المقاطعات التي كانت تأتي إلى القسطنطينة لتقديم دعواهم أمام محكمة الإمبراطور.

*Charalambos Bakirtzis* , "*Secular and military buildings*"In *The Oxford Handbook*

*of Byzantine Studies*, edited by Elizabeth Jeffreys and others, (Oxford :2008), pp.373-384,esp377.

ويضيف ثيوفانيس أن الإمبراطور رومانوس ليكابينوس خلال سنته الثانية والعشرين قام بعمل العديد من الأعمال الخيرية ، حيث بنى ثكنات خاصة وغطى أقواس الصمة أو الأروقة حيث كان المتسولون والمساكين يقضون أمسياتهم فيها.

Theophanes Continuatus, *Chronographia*, ed. I. Bekker, CSHB, (Bonn : 1838*)*,pp.218-229ff.

( ٣٤) ترجع البدايات الأولي لرعاية المرضي وتقديم المساعدات الطبية لهم إلى القرن الرابع الميلادي ، حيث تشير الروايات المصدرية، أن القديس باسيل أسس مجمعًا طبيًا خيريًا لمساعدة المرضي والمحتاجين خارج قيصارية.

Peter Brown, *Poverty and Leadership in the Later Roman Empire*, (Hanover/London: 2002), pp.38-40; Susan R. Holman, *The Hungry are Dying: Beggars and Bishops in Roman Cappadocia*, (Oxford/New York: 2001),pp. 74–75; Evelyne Patlagean, "Les donateurs, les moines at les pauvres dans quelques documents byzantins des XIe et XIIe siècles", In: *Horizons marins, itinéraires spirituels (Ve–XVIIIe siècles)*, Vol. 1, ed. by Henri Dubois, Jean-Claude Hocquet and André Vauchez, (Paris: 1987), pp. 223–231

(35 )Attaliotae, M., *Historia*, ed. I. Bakker, CSHB, (Bonn: 1853),p.276; Nicholas Kataskepenos, Sargologos, Étienne (ed., tr.), *La Vie de Saint Cyrille le Philéote, moine byzantine (†1110)* (Subsidia Hagiographica 39), (Bruxelles: 1964), pp. 551-562

(36)John Zonaras , *Epitome historiarum* , ed . M. Pinder and T. Büttner - Wobst , 3 vols, ( Bonn: 1841 , 1844 , 1897 ), Vol 3 , pp.766-767.

(٣٧) حاولت آنا كومنينوس في الألكسياد وصف مشاعر المسئولية الفردية للإمبراطور ألكسيوس المرتبطة بمشكلات الإمبراطورية وعدم التركيز المجرد على المجد والعظمة الإمبراطوري لشخصه، حيث أكدت أن الإمبراطور اهتم بتحقيق الرفاهية للإمبراطورية ككل أكثر من تركيزه على مجده الشخصي، وعللت تجاوزه في حق الممتلكات المقدسة بأن ذلك لم يكن لغرض شخصى بل كان لصالح الإمبراطورية، فوفقًا لآنا كومنينوس عندما كان ألكسيوس على وشك شن حملة عسكرية ضد النورمان ووجد الخزانة الإمبراطورية فارغة، حيث كان نيقفور بوتنياتس (١٠٧٨-١٠٨١م) قد بدد ثروتها، فكانت البدائل المتاحة لألكسيوس هي إما أن يتجاهل الإمبراطورية والأخطار التي تحيط بها، أو أن يجمع الموارد المالية التي يحتاجها بقدر الإمكان، وقد اجتمعت العائلة وأصدقاؤها وأتباعها، وقاموا بإرسال الذهب والفضة لمساندة الإمبراطور في محنته، وهذا لم يكن كافيًا أيضًا، فقامت كل من والدته الإمبراطورة آنا دالاسينا Anna Dalassene وأخيه إسحاق كومنينوس Issac Comnenos، من خلال بُعد نظر متعقل وحكيم، بفحص ودراسة القوانين الإمبراطورية القديمة، واكتشفوا أن الأمر متاح من الناحية الشرعية، أن يستخدموا خزانة الكنيسة وكذلك أن يفرضوا الفدية على سجناء الحرب، وعليه عملت آنا دالاسينا وإسحاق على أخذ موافقة المجمع الكنسي على هذا الأمر، وقد اعترفت آنا كومنينوس أن الأسقف ليو Leo of Chalcedon اعترض على تجريد أبواب كنيسة القديسة العذراء Theotokos Chalkoprateia القريبة من آيا صوفيا Hagia Sophia من محتوياتها، ثم تداركت آنا كومنينوس وهاجمت الأسقف ليو، قائلة: أنه شخص ليس متعلم أو حكيم، وإنه قاسي ومتعجرف، غير قادر على التعبير عن نفسه بشكل جيد لأنه لم يتدرب على المنطق العقلي، كما أنه يفتقد لقدرته على تصور وفهم الكتاب المقدس. وكررت أيضًا في كتابها محاولات ألكسيوس المستمرة في مصادرة الممتلكات المقدسة بحجة الدفاع عن الإمبراطورية حتى أنه اضطر في عام ١٠٩٤م لدعوة أعضاء مجلس الشيوخ والقادة العسكريين، وأصحاب المناصب الرفيعة

في الكنائس والأديرة إلى اجتماع في القصر الامبراطوري " بلاشرناي Blachernai" لكى يشرح ويوضح بأنه اضطر لفعل ما قام به بدافع الضرورة، وأن مقصده تمثل دائما في الزود عن الإمبراطورية والدفاع عنها بكل السبل الممكنة.

وفي ذات السياق تم دعوة الخزانة الإمبراطورية والكنسية وممثليها للبحث في سجلاتهم عن فقدان الودائع بسبب مصادرات الإمبراطور، وأظهرت آنا كومنينوس أنهم اكتشفوا أن ألكسيوس لم يأخذ أي شيء سوى الحلي والزخارف الذهبية والفضية من مقبرة الإمبراطورة زوي Zoe وغيرها من الأشياء الأخرى الصغيرة التي لم تعد تستخدم لأغراض العبادة الدينية المقدسة، وبالتالي كان دفاع آنا كومنينوس عن عمليات الاستيلاء في كل الأحوال شرعية، وقد تم تأكيدها مرارًا وتكرًار.

آنا كومنينوس، الألكسياد، الكتاب الخامس، ص٢٠٢-٢٠٥.

Comnene , *The Alexiad* , pp.83-85; Lyn Rodley, 'Tha Art and Architecture of Alexios I Komnenos', In : *Alexios I Komnenos Papers*, edited by Margaret Mullett and Dion Smythe (Belfast: 1996), pp.339-358, esp.347-349; Janin, R.,*Constantinople byzantine*, (Paris: 1964), p. 125; Gautier Paul. Le synode des Blachernes (fin 1094). Etude prosopographique. In: *Revue des études byzantines*, tome 29, (1971). pp. 213-284.

(38)Magdalino, Paul, "Innovations in Government," In: Mullett/ Smythe (ed.), In: *Alexios I Komnenos*. Papers on the Second Belfast Byzantine International Colloquium , (Belfast: 1996), pp. 146–166,esp.158;Grumel V.,'L' affaire de Léon de Chalcédoine . Le décret ou ' semeioma ' d ' Alexis jer Comnène ( 1086 ) , " *Echos d'Orient* 39 ( 1941 - 42 ) ,pp. 333 – 41 P. Stephenson , " The Rise of the Middle Byzantine Aristocracy and the Decline of the Imperial State ', In: P. Stephenson, ed., *The Byzantine World* ( London: 2010 ),pp.22-33, esp.27-28. Magdalino, P. *The Empire of Manuel I Komnenos, 1143-1180* (Cambridge : 1993), p.180f.; Magdalino, P. "Justice and Finance in the Byzantine State, Ninth to Twelfth Centuries," In: Laiou and Simon (eds), *Law and Society in Byzantium , Ninth - Twelfth Centuries* (1994), pp. 93–115, esp.111.

وللمزيد عن انتقادات رجال الدين للإمبراطور ألكسيوس بسبب استيلائه على السلطة، وإيمانه غير المبرر بالقوة المادية، خاصة من رجال الكنيسة لإسراف أفراد عائلته أنظر:

Gautier, P. 'Diatribes de Jean l'Oxite contre Alexis Ier Comnene', *Revue des études byzantines*, 28 (1970),pp. 5-55.

( 39) الجيروكوميا: يُقصد بها دار رعاية كبار السن في الإمبراطورية البيزنطية، وهي مشتقة من الكلمة اليونانية geros والتي تعني " الشيخوخة أو المسنين" أو من الكلمة gerotropheia والتي تعني منازل المسنين، وقد انتشرت هذه المؤسسات في كافة أنحاء الإمبراطورية والتي تم تأسيسها من قِبل العائلات الإمبراطورية والكنيسة وبعض المحسنين الذين أبدوا اهتمامًا كبيرًا بالمسنين، وقد حملت أسماء مؤسسيها، رغم أن هناك العديد من دور رعاية المسنين مجهولة المنشأ والتي لا يمكن تحديد عددها بدقة، وتم تأسيسها ليس فقط في القسطنطينية، ولكن أيضًا في مدن إقليمية كبيرة أخرى، مثل القدس وأنطاكية والإسكندرية ونيكايا وأفسس وتيسالونيكي وكورنثوس.

J Lascaratos and others, "Nursing homes for the old ('Gerocomeia') in Byzantium (324-1453 AD)" *Gerontology* Mar-Apr 2004;50(2):pp.113-7, esp.113.

(40)Oikonomides, N., 'L'evolution de l'organisation administrative de I'empire

byzantin au XIe siecle (1025-1118)" *Travaux et Mémoires* 6 (1976), 125-152, esp.139.

(٤١) قديس بيزنطي، ولد في عام ١٠١٥م في فيله بالقرب من ديركوس وهي قرية بالقرب من القسطنطنية، مضى كيرلس ثلاث سنوات كبحار، ورغم اخلاصه للحياة الرهبانية إلا أنه كان لديه زوجة وأطفال، كان رحالة زار القسطنطينية بشكل متكرر، وسافر إلى أبعد من ذلك، إلى خوناي وإلى روما. ارتبط أسمه بعائلة كومنينوس، توفي في عام ١١١٠م.

Khazdan, Alexander, "Cyril Phileote", *Oxford Dictionary of Byzantium*, pp.573-574

(42 )*La Vie de Saint Cyrille le Philéote,* p. 229.

(43 ) Comnene , *The Alexiad,* p.269

(٤٤) آنا كومنينا، الألكسياد، الكتاب الخامس عشر، ص٦١٥.

Comnene , *The Alexiad*, p.289

(٤٥) آنا كومنينا، الألكسياد، ص٦١٥-٦١٦.

Comnene , *The Alexiad*, p.290

(٤٦) جنرَال بيزنطى ورجل دولة ومؤرخ، وُلد في أدريانوبوليس Adrianoples بالقرب من مقدونيا، ينتمي لعائلة بارزة، و عمل بالخدمة العسكرية لجيش الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنينوس (١٠٨١-١١١٨م) ، وشارك معه في حملاته العسكرية، ثم تزوج من ابنته آنـا كومنينوس، وبسبب قربه من الإمبراطور أعطاه الأخير لقب قيصر، عُرف عنه حب القراءة والثقافة العامة، عكف في نهاية حياته على كتابة تاريخ للإمبراطور لكن لم يتمكن من إتمامه بسبب وفاته .

William ,Plate, Bryennios", In: *Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology: Abaeus-Dysponteus*, ed. William Smith, (J. Walton: 1849),pp.514-515; "Neville ,L., "Bryennios ,Nicephoros" In: *The Oxford Encyclopedia of Medieval Warfare and Military Technology*, ed. .C. Rogers, (Oxford: 2010), p.262.; Wittek S. &Jongh ,de., "Le Cesar Nicephore Bryennios, I'historien, et ses ascendants", *Byzantion* 23 (1953),pp.463-468.

طارق منصور، *قطوف من الفكر البيزنطي*، الجزء الأول، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢١.

(47)Nicephore Bryennios, *Histoire :Introduction, Texte, Traduction et Notes* , Par. Paul Gautier, Byzantion,(Bruxelles: 1975),56 p.20

(٤٨) متمرد نورماني الأصل، انخرط في خدمة الدولة البيزنطية وعمل في جيشها كقائد لمجموعة من الجنود النورمان كمرتزقة و كان يترأس القوات البيزنطية المتجهة إلى قبادوقيا، وأعلن العصيان على الإمبراطورية البيزنطية وتمرد عليها عندما قام إسحاق كومنينوس بمعاقبة أحد الجنود النورمان، وأراد أن يقيم في بلاد الأناضول دولة نورمانية .

Brand,Ch.M. ,"Rousselle de Bailleul" , *Oxford Dictionary of Byzantium*, pp.1814-15

وقد شن روسيل باليل عددًا من الهجمات القوية على الإمبراطورية البيزنطية، ووقفت الإمبراطورية البيزنطية عاجزة تمامًا عن إخماد ثورته، مما دفع الإمبراطور ميخائيل السابع إلى تكليف القائد ألكسيوس كومنينوس والذي تمكن من القبض عليه وإنهاء تمرده.

John Zonaras , *Epitome*, p.709; Nicephore Bryennios, *Histoire*, p. 148.

(49 )Comnene, *Alexiad* , pp.8-9;Diehl ,Charles, *figures Byzantine*,(Paris: 1946), p. 339

للمزيد عن حركة روسيل بالليل الإنفصالية انظر: وديع فتحي عبد الله، روسيل بايليل النورماني الثائر في آسيا الصغري ) ١٠٧٣- ١٠٧٦م(، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٥ م.

( 50) جنرال بيزنطي، تدرج في الرتب العسكرية، لكفاءته منحه الإمبراطور رومانوس الرابع مهمة كبيرة في معركة مانزيكرت١٠٧١م، حيث جعله قائدًا للجناح الأيسر للقوات البيزنطية، في عام ١٠٧٢-١٠٧٣ ، شغل منصب دوق- قائد القوات- في بلغاريا ، حيث أعاد فرض السيطرة البيزنطية بعد سلسلة من الانتفاضات وطمع في التاج الإمبراطوري

Alexander Khazdan,"Bryennios, Nikephoros", *Oxford Dictionary of Byzantium*, pp.330-331; Norwich, John Julius, *Byzantium*: The Apogee, Penguin(1993),p.348
عن أسرة برينيوس، انظر: فايز نجيب إسكندر: أسرة برينيوس ودورها فى تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، المجلة التاريخية، مج٣ (١٩٨٦م) ص٨٣-١١٨.

(٥١) تُعد عقوبة سمل الأعين من أهم العقوبات التي كانت مطبقة في الإمبراطورية البيزنطية خاصة خلال عصرها الباكر، وكانت تفرض على كل من تثبت إدانته بالخيانة العظمي بالإضافة إلى المتمردين الثائرين على الدولة، واستخدمت عدت طرق في سمل الأعين كاستخدام الأسياخ الحديدية، والسيخ الناري.
John Lascaratos and S.Marketos,"*The Penalty of Blinding during Byzantine Times*," *Documenta Ophthalmologica* 81 (1992),pp.133-144,esp.133

(52)Comnene , *Alexiad* , p.15; John Zonaras, *Epitome* , pp.716-171; Nicephore Bryennios, Histoire , pp.16-20*; La Vie de Saint Cyrille le Philéote*, pp. 233-34;
أشارت آنا كومنينوس إلى المصير الذي آل إليه برينيوس من سمل عينيه، بأن ذلك تم على يد رجال البلاط الإمبراطوري، وقامت بتبرئة والدها مما جري له، حيث قالت: والدي لم يكن شريكا في المصائب التي نزلت ببرينيوس. آنا كومنينا، الألكسياد، ص٥٢.

(٥٣) قائد عسكري بيزنطي، ينتمي لأحد الأسر الأرستقراطية ، شغل منصب الحاكم العام في آسيا الصغري، تغير موقفه السياسي عقب معركة مانزيكرت حيث تحول ولاؤه للإمبراطور ميخائيل السابع ، وظل على هذا الحال حتي تولي نيقفور بوتنياتس فتعرض للنفي واستبعد من العاصمة.
Kazhdan ,A., " Melissenos", *Oxford Dictionary of Byzantium* ,p. 1335.

(54)Comnene , *Alexiad* , p.78.

(55)Comnene , *Alexiad*,p.78 ; . Loud, G. A.," Anna Komnene and her Sources For The Norman of Southern Italy" ,In: *Church and chronicle in the Middle Ages*, eds. Ian N. Wood.& John Taylor& G. A. Loud, Continuum International Publishing Group, (1991),pp.41-58,esp.49.

(56)*La Vie de Saint Cyrille le Philéote,* p.40 ; Jonas Nilson, 'The Emperor is for Turning: Alexios Komnenos, John the Oxite and the Persecution of Heretics' In: *Trends and turning points : constructing the late antiquity and Byzantine world,* ed. Frances Andrews, Brill, (Boston: 2013), pp.185-202, esp.199.

(57)*La Vie de Saint Cyrille le Philéote*, 231-232, 235, 236; Pamela Armstrong, 'Alexios Komnenos, holy men and monasteries' In: *Alexios I Komnenos Papers, edited by Margaret Mullett and Dion Smythe* (Belfast: 1996),pp.219-231, esp.219.

(٥٨)راهبٌ وحاجبٌ بيزنطيٌ، ولد ميليتيوس في قرية موتالاسكي في إقليم قبادوقيا، هرب من موطنه إلى القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية ، حيث أصبح راهبًا، عاش هناك ثلاث سنوات ، وبعدها سافر لتأدية فريضة الحج في الأراضي المقدسة، عند عودته إلى اليونان، استقر على جبل ميوبوليس، بحلول عام ١٠٨١م تقريبًا ، كان قد استحوذ على دير سيمبولون القريب ، والذي عُرف باسم هوسيوس ميليتيوس من بعده، وتوفي فى ديره عام١١٠٥م.

Johannes Pahlitzsch,' Byzantine Monasticism and the Holy Land: Palestine in Byzantine Hagiography of the 11th and 12th Centuries', In: *Heirs of the apostles: studies on Arabic Christianity in honor of Sidney H. Griffith*, Edited by David Bertaina and others,Brill, (Boston : 2019),pp.231-255,esp.243-245;Alexaner Khazdan,' Meletios the Younger' In: *The Oxford Dictionary of Byzantium*, pp.1333-1334.

(59 )Pamela Armstrong, 'Alexios Komnenos, holy men and monasteries,p.219; Alan Harvey *Economic Expansion in the Byzantine Empire 900 – 1200*, (Cambridge: 1989),p.83.

(60 )Iakovos Menelaou, 'Alexios I Komnenos and his Church Policy', *Icoana Credintei* Vol. 4 No. (7/2018), pp.118-128,esp.121; Morris, R., *Monks and Laymen in Byzantium*, 274.

(٦١)بطريرك الكنيسة الأرثوذوكسية في أنطاكيا منذ عام ١٠٨٩م وحتي عام١١٠٠م، وذلك عندما نفاه بوهمند النورماندي أمير أنطاكية، فر إلى الإمبراطورية البيزنطية واستمر في حكم أجزاء البطريركية التي كانت تحت الحكم البيزنطي، كان كاتبًا بارزًا للنصوص الدينية، ومُصلحًا للمؤسسات الدينية .

Alexander Khazdan, " John IV (V) Oxeites", In: *The Oxford Dictionary of Byzantium*, p.1049;

(62 )Paul Gautier, ' Diatribes de Jean l'Oxite contre Alexis Ier Comnène', *Revue des études byzantines* 28 ( 1970) pp. 5-55, esp.31-32.

(63)Michael Angold, *Church and Society in Byzantium Under the Comneni*, 1081-1261 (Cambridge: 1995), pp.64-65; Iakovos Menelaou, 'Alexios I Komnenos and his Church Policy,pp.121-122; Michael Angold, *The Byzantine Empire, 1025-1204:* A Political History,( London: 1997),p.144.

(64)Lyn Rodley, 'Tha Art and Architecture of Alexios I Komnenos', p.345; Cyril Mango, *The Art of the Byzantine Empire. Sources and Documents* (Toronto: 1986), p.226

(65 )Comnene , *The Alexiad*, p.291.

( ٦٦) سياسي بيزنطي وقائد عسكري، كان مؤسس دير والدة الإله بيتريتزونيتيسا في باتشكوفو Bachkovo- جنوب بلغاريا- أصله يكتنفه الغموض حيث يشير بعض المؤرخين أنه من أصل أرميني، في حين يذهب البعض الآخر إلى أن أصوله من جورجيا وهو الرأي الذي أكده المؤرخ متي الرهاوي، خدم في الجيش البيزنطي و حقق مكانة بارزة بين الطبقة الأرستقراطية العسكرية البيزنطية.

Kazhdan, Alexander. "The Armenians in the Byzantine Ruling Class Predominantly in the Ninth through Twelfth Centuries" In: *Medieval Armenian Culture (University of Pennsylvania Armenian Texts and Studies 6)*. Thomas Samuelian and Michael Stone (eds). Chico, CA: Scholars Press, (1983), pp. 443-444; Garsoïan, Nina G. "The Problem of Armenian Integration into the Byzantine Empire" In: *Studies on the Internal Diaspora of the Byzantine Empire*. Hélène Ahrweiler and Angeliki E. Laiou (eds.). (Washington: Harvard University Press:1998), pp. 88-90.

(67)Gautier Paul. "Le typikon du sébaste Grégoire Pakourianos" In: *Revue des études byzantines*, tome 42, (1984), pp. 5-145, esp.100, 134

(68 ) Pakourianos: Typikon of Gregory Pakourianos for the Monastery of the Mother of God petrizonitissa in Backovo, Trans. R. Jordan, *Byzantine Monastic Foundation Documents* ,ed .John Thomas and Angela Constantinides Hero, (Dumbarton Oaks:2000) Vol.2, No.23, ch.20, p.549-550.

محمد عبدالله زايد، التيبيكا البيزنطية( وثائق تنظيمات الأديرة) مصدرًا لدراسة الطب والصحة العامة فى الدولة البيزنطية، حولية سيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ٢٠١١، العدد الأول، ص٢٢٣-٢٥٨، ص٢٢٧.

(٦٩) كان الموديوس في الأصل مقياسًا للحبوب والغلال، وهو المقياس المستخدم في معظم النصوص التي تتناول الحبوب والغلال خلال العصر البيزنطي الأوسط، ونظرًا لوجود العديد من أنواع القياس المختلفة التي

يتم وزنها بالموديوي، فتوجد هنا صعوبة في قراءة القيم الخاصة بهذا القياس من خلال النصوص التاريخية، حيث يصعب استقراء وزن من أجل حساب نتائج، أي التحويل من الحبوب إلى الدقيق، ومن ثم خلال عملية الخبز إلى الخبز، أكثر من ذلك لأن الأنواع المختلفة من الحبوب أوزانها مختلفة ـ كانت تزن بشكل مختلف وكانت مختلفة الكثافة ، بحيث لا تكون مقادير الشعير الكمية نفسها بالوزن للدقيق .

Haldon,J., *Warfare, State and Society in the Byzantine World, 565-1204*. (in the series Warfare and History , London, UCL Press: 1999), p.281.

(70 ) Demetrios J . Constantelos , *Byzantine Philanthropy and Social Welfare*, p.142; W. Nissen, *Die Diataxis des Michael Attaleiates von 1077*. (Jena: 1894),p.22.

(71 )Parkin, T.,"The Demography of Infancy and Early Childhood in the Ancient World," in J. Evans Grubbs – T. Parkin with R. Bell (eds.), *Oxford Handbook of Childhood and Education in the Classical World*, (Oxford: 2013),pp. 40–61

(72)Kotsifou, C.,"Papyrological Perspectives on Orphans in the World of Late Ancient Christianity", In: C. Horn – R. Phenix (eds.), *Children in Late Ancient Christianity*, (Tübingen: 2009), 339–74 ;T. McGinn, "Widows, Orphans and Social History", *Journal of Roman Archaeology* 12 (1999),pp. 617–32.

تُستخدم الكلمة الإنجليزية Orphan "يتيم" اليوم بشكل مباشر تقريبًا للدلالة على الطفل الذي فقد كلا والديه بسبب الوفاة، على النقيض من ذلك في العصور القديمة فنظرًا للمجتمع الأبوي" الذكوري" السائد آنذاك، فليس من المستغرب أن يكون التركيز على فقدان الأب فقط، بحيث كان يُنظر إلى اليتيم عادةً على أنه "يتيم الأب"، خاصة في المجتمع اليوناني والروماني حتي العصر البيزنطي، فاليتيم هو الشخص الذي توفي والده، وارتبط الأمر بالأرامل خاصة وأن الأخيرة أصبحت مسئولة عن الأطفال بعد وفاة زوجها ووالدها

Fitzgerald, J. T.," Orphans in Mediterranean antiquity and Early Christianity"*Acta Theologica* 36 (2016), pp.29-48, esp.30 ;Kathryn B. Westbrook, *The Re-Definition of the Fatherless Family in the Early Christian Church*, (University of Edinburgh : 2017), p.55.

(73 )George the Synkellos, *The Chronography of George Synkellos: A Byzantine Chronicle of Universal History from the Creation*. Trans. W. Adler and P. Tuffin. (Oxford :2002), p.261

أدركت الكنيسة أنه لا يمكن تبني جميع الأطفال اليتامى، وتولت بعض المسؤولية عن الأيتام، و في وقت مبكر من القرن الرابع الميلادي ، أسس باسيل القيصري مدرسة داخلية للبنين والبنات، وقبل فيها الأيتام كجزء من المجتمع الرهباني، وغالبًا ما كان يُشرف الأساقفة على منازل الأطفال الذين لا آباء لهم.

Cecily Hennessy," Young People in Byzantium" In : *A Companion to Byzantium*, ed. Liz James, Blackwell Publishing ( 2010),pp.81-91,esp.84.

(74 ) Gregory the Cellarer ,*The Life of Lazaros of Mt. Galesion*: An Eleventh-Century Pillar Saint. Introduction, Translation and Notes, by Richard P.H. Greenfield (Washington: 2000),p.152.

(75 )Comnene , *Alexiad* , p.289.

(٧٦) آنا كومنينا، الألكسياد، ص٦١٥-٦١٦.

Comnene , *Alexiad* , p.289.

(٧٧) ورث المجتمع البيزنطي هذه الممارسة المرتبطة بالالتزامات العائلية تجاه الأيتام من عدة روافد أهمها: الثقافة اليونانية الكلاسيكية، والثقافة الرومانية القديمة، وإن كانت الأخيرة هي الأكثر تأثيرًا خاصة مع التزام الأسرة الرومانية برعاية الأطفال الذين فقدوا والديهم، وكان هناك ثلاث فئات من الأوصياء: الفئة الأولى وهي الوصاية القانونية "Tutela legal" و هي أقدم أنواع الوصاية وكانت وجوبية ويتم تعيينهم لِلْقُصَّر أو الأيتام من أقاربهم بالدم ويكون أقرب قريب ذكر من سلالة الأب هو المرشح الأبرز، وكان النساء محرومات من

الوصاية على أقاربهن، ويتم تعيينهم على أساس مصلحة الأسرة، أما النوع الثاني من الوصاية فهي الوصاية بالوصية: وتعني الوصاية التي يحددها رب العائلة بوصيته لأولاده بعد وفاته، أما الفئة الثالثة فهي الوصاية القانونية ويُعين الوصي في هذا النوع من الوصاية من قِبَل الحاكم حينما لا يكون للقاصر وصي معين بالوصية أو وصي قانوني (من أقاربه بالدم). وقد نشأت هذه الوصاية عن فكرة حماية القاصر في الحقوق الرومانية.

Max Kiiser, *Roman Private Law*, trans. Rolf Dannenbring Pretoria: Univ. of South Africa: 1980), chap. 62, pp.316-28

وخلال القرن الرابع الميلادي بدأ الأباطرة البيزنطيين الأوائل في إحداث تعديلات في قواعد الوصاية، حيث إنه في عام ٣١٤م، أصدر الإمبراطور قسطنطين الكبير (٣٠٥-٣٣٧م) قانونًا أقر فيه الحجز على جميع ممتلكات الوصي حتى يتم إنجاز مهام الوصاية بنجاح ويتم بعدها محاسبته بطريقة رسمية، وقصد قسطنطين بوضوح أن هذه الفرضية ستوفر حماية أكيدة للأيتام من الأوصياء المخادعين الذين استخدموا سبيل الوصاية ليس لمساعدة الأطفال ولكن لنهب ممتلكاتهم، وواصل قسطنطين تشريع حماية إضافية للأيتام الأطفال، ففي عام ٣١٦ م طلب أن يتحمل الوصي أية خسارة مالية عن طريق التأخير في الوفاء بشروط الوصايا اللاحقة وفي عام ٣٣٣ م أصر على وجوب تعويض الوصي لليتيم لخسارته في إدارة الأراضي المؤجرة ، وفي ذات السياق ناشدت أرملة تدعى جوليتا الأسقف باسيل القيصري Basil of Caesarea ، لمساعدتها ضد ظلم الوصي الظالم.

The Theodosian *Code and Novels and the Sirmondian Constitutions*, trans. by Pharr C.,CJR 1, (New York :1951). 3.30.1-2-3-5;pp.78-80;Miller .Timothy, "The Care of Orphans",p.123-124, *Basil Letters*, ed. Roy J. Defferrari, Loeb Classical Library (London: 1930), vol. 2,pp. 202-8.

(78 )Comnene, *Alexiad*, p. 271

(79 )Magdalino, Paul, " Innovations in Government", p.160

(80 )Stanković, Vlada, and Berger, Albrecht. “The Komnenoi and Constantinople before the Building of the Pantokrator Complex" In: *The Pantokrator Monastery in Constantinople*, ed. Sofia Kotzabassi, (Berlin: De Gruyter 2013), pp.3-23, esp.28

(81 )G. C. Pournaropoulos, Hospital and Social Welfare Institutions in the Medieval Greek Empire (Byzantium), In: *XVIIe Congrès international d’histoire de la médecine*, vol. 1, Athens 1960, p. 378; Peregrine Horden, A Discipline of Relevance: The Historiography of the Later Medieval Hospital, In: *Social History of Medicine* 1 (1988), pp. 359–74.

(82) Comnene, *Alexiad*, p. 290.

آنا كومنينا، الألكسياد، ص٦١٧

(83 )Magdalino,Paul, "Medieval Constantinople", In: *Studies on the History and Topography of Byzantine Constantinople*, ed. Paul Magdalino, Variorum Collected Studies Series. Aldershot/ (Burlington: 2007), p.1-111,esp.84

(84 )Magdalino, Paul, "Innovations in Government", p.156.

(85)Comnene, *Alexiad*, pp. 290-**291**

(٨٦) آنا كومنينا، الألكسياد،ص٦١٧.

Comnene, *Alexiad*, pp. 290-**291**

(87 )Dark, K. and Harris, A. LThe orphanage of Byzantine Constantinople: an archaeological identification. *Byzantinoslavica - Revue Internationale des Études Byzantines*, 66. (2008) (1-2). pp. 189-202, esp.189.

(88 )Magdalino, P. *Constantinople medievale. Etudes sur revolution des structures urbaines,* (Paris: 1966), pp.76-77; Magdalino, "Medieval Constantinople," pp.*84-86.*

كلمة يونانية قديمة تعني أعلى قمة أو المدينة العالية أو الحصن، وبصفة عامة يشير المصطلح إلى قلعة تم بناؤها على أعلى جزء في المدينة للدفاع والزود عنها، وفي بلاد اليونان كان مركزًا حيويًا ومقرًا للآلهة اليونانية، وقد أكد المؤرخ "مانجو" أن قسطنطين الكبير وأباطرة الرومان الشرقيين اللاحقين لم يبنوا على نطاق واسع على الأكروبوليس القديم. وعلى الجانب الشمالي من الأكروبوليس تم العثور على أطلال بيزنطية، وهي أطلال تظهر علامات إعادة الإعمار في عهد أباطرة كومنينوس. وقد حدد مانجو هذه البقايا على أنها بقايا المؤسسة الخيرية التي أعاد إلكسيوس الأول كومنينوس تشكيلها .

Cyril Mango's *Le développement urbain de Constantinople (IVe–VIIe siècles)* (Travaux et Mémoires du Centre de recherche d'Histoire et Civilisation de Byzance, Collège de France, Monographies 2, Paris [Diffusion De Boccard] (1985), pp.33-34

(89 ) Comnene, *Alexiad*, p. 289.

آنا كومنينا، الألكسياد، الكتاب الخامس عشر، ص٦١٦.

(90 ) Demetrios J . Constantelos , *Byzantine Philanthropy*, p.246-247; Bréhier ,Louis, *Les Institutions de l'Empire byzantine* (Paris: 1949),p.526

(91 )Ken R. - Harris , Anthea ,"L. The Orphanage of Byzantine Constantinople : an archaeological identification ", ByzantinoslavicaI 66 ( 2008 ) , no 1-2 ,pp. 189-201, esp.190

(92)Zonaras,J.,*Epitomae*,pp.744-745;GLycas,M., Annales, ed. I.Bekker, CSHB.37, (Bonn:1836),p.621;Magdalino,P., *The Empire of Manuel I Komnenos* (Cambridge: 1993),p.115; Angold, *Byzantine empire*,p. 123.; Angold, *Church and Society* ,p.274.

(93 )Magdalino, Medieval Constantinople, p.84; Demetrios J . *Constantelos , Byzantine Philanthropy*,p.246 ; Oeconomos , *Vie religieuse Lysimaque Oeconomos , La vie religieuse dans l ' Empire byzantin au temps des Comnènes et des Anges* ( Paris: 1918 ), pp. 214-15.

(94)Rene Guerdan , *Byzantium : Its Triumphs and Tragedy*, p.30.

(95 )Michel Aubineau, "Zoticos de Constantinople, Nourricier des pauvres et serviteur des lépreux," *Analecta Bollandiana* 93 (1975): 67–108.

وفيما يتعلق باليتامى للقديس زوتيكوس ، فإن الإشارة المبكرة إليه في التاريخ السوري لزكريا ميتيلينى تكشف أن أهل القسطنطينية ربطوا المؤسسة بالغناء الكورالي، حيث عمل الكاهن أكاكيوس Akakios وقتها مديرًا لدار أيتام زوتيقوس وأضاف زكريا أنه خلال فترة رئاسة أككيوس للمؤسسة، غالبًا ما كان أهل القسطنطينية يزورون دار الأيتام لسماع الأطفال وهم يغنون ، وقام شقيق أكاكيوس المدعو" تيموكليتوس" بتأليف تراتيل خاصة للأيتام.

Zachariah of Mitylene, *Historia ecclesiastica*, Trans F.J.Hamilton, E.W.Brooks, The Syriac Chronicle Known as That of Zachariah of Mitylene ( London:1889), pp.79-82.

(96)Joseph Dyer, "The Boy Singers of The Roman Schola Cantorum"In: *Young Choristers, 650-1700* , Susan Boynton and Eric Rice(2008),pp.19-36,esp.27.

(97 )Codinos , Geroge( Pseudo). Scriptores Originum Constantinoplitanarum, ed.Theodore, III, Preger, (Leipzig: 1901-1907), p.235; M. Aubineau, Zôticos de

Constantinople, nourricier des pauvres et serviteur des lépreux, *Analecta Bollandiana* . 93, (1975), p. 97-98.

زوجة جاستن الأول لها الفضل في العديد من الجمعيات الخيرية، من بين الأعمال الأخرى ، قامت بتخليص ديون العديد من الفقراء من خلال دفع ثمنها بنفسها.

Theophanes ,The Chronographia of Theophanes, ed. and trans H.Turtledove, (Philadelphia :1982),pp.486-487;Theophanes Constinuatus.Chronographia,I, p. 242 ; Theophanis Continuati , *Chronographiae quae Theophanis Continuati nomine fertur* Libri I-IV,ed. Athanasios Kambylis, Walter de Gruyter Inc., Boston/(Berlin: 2015),p.37

(98 )Theophanes Constinuatus.Chronographia,, p.244; Janin, R., *La Géographie ecclésiastique de l'Empire byzantin*. (Paris: 1969),pp. 413-414

(99 ) Mango, Cyrill, *The Art of the Byzantine Empire 312 – 1453*(Toronto , University of Tororonto: 1986),p.125;A. M. Schneider, "Brande in Konstantinopel," *Byzantinische Zeitschrift*, XLI (1941),pp.382-403,esp. 384.

(١٠٠) وتشير بعض الروايات التاريخية أن دارًا للأيتام كانت بالقرب من كنيسة القديس بولس، وربما الكنيسة التي تحمل الاسم نفسه بالقرب من بوابة أوجينيوس على الجدار البحري للقرن الذهبي، وقد وهب جاستن الثاني راتبًا سنويًا قدره ٤٤٣ نوميسماتا لدار الأيتام وجعل ممتلكاته غير قابلة للتصرف.

Theophanes ,The Chronographia ,pp.486-487;Bury, J. B. *The Imperial Administrative System of the Ninth Century – With a Revised Text of the Kletorologion of Philotheos*. (London: Oxford University Press:1911) (réimpression New York: 1958),pp.103-104; Guilland, Rodolphe, "Étude sur l'histoire administrative de l'empire byzantin: L'orphanotrophe". *Revue des études byzantines* (in French). 23(1965): 205–221,pp.205-207.

يذكر جينيسيوس Genesios لقاءًا سريًا بين مستشار مايكل ثيودوتوس والإمبراطور المستقبلي ليو الخامس (٨١٣-٨٢٠م). التقى هذان الرجلان في كنيسة دار الأيتام، والتي وفقًا لرواية لجنسيوس، كانت قائمة على الأكروبوليس في القسطنطينية.

Josephi Genesii *Regum Libri Quattuor*, ed. A.Lesmueller-Werner and I Thurn (Berlin De Gruyter: 1978), pp.8-9

(101) Charanis , " Nicephorus I , the Savior of Greece from the Slavs " , *Byzantina - Metabyzantina* , vol . I , Part I ( New York :1946 ) ,pp. 75-92, esp.76-77.

(102)George Cedrenus , *Historiarum Compendium* , I . Bekker , vol . ii ( Bonn : 1839 ), pp.503-04

(103)Cecaumenos, *Strategicon,* ed. Wassiliewsky-Jernstedt, (St. Petersburg : 1896) p.p.39

(104 ) Robin L. Anderson, *Sources in the History of Medicine: The Impact of*

*Disease and Trauma*, (Pearson/Prentice Hall : 2007),p.104

(105)Nicholas Kataskepenos, *La Vie de Saint Cyrille le Philéote,* pp.225-231,455f; Magdalino, Paul, "Innovations in Government", p.158.

(106)كان مؤرخًا بيزنطيًا وعالمًا لاهوتيًا عاش في القسطنطينية، تحت حكم الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنينوس، شغل منصب رئيس القضاء والسكرتير الخاص، إلا أن مقاديره تبدلت بعد وفاة ألكسيوس عام ١١١٨م ، فصار راهبًا في دير جليكيريا St. Glykeria . ويعتبر زوناراس أحد أشهر كُتاب الحوليات في

الإمبراطورية البيزنطية ، ووضع كتابًا أسماه "موجز التواريخ Epitome Historiarum " ، بدأ فيه الأحداث منذ بدء الخليقة وحتى عام ١١١٨م.

Kazhdan ,A ., "Zonaras, John" , *Oxford Dictionary of Byzantium*, p. 2229.

(107 ) Joannes Zonaras, *Epitomae Historiarum,* III, pp.744-45.

(108) ميخائيل جليكاس صاحب الحوليات، عرف باسم ميخائيل سيكيديتس Michael Sikidites كان محبًا للتاريخ عمل في ديوان المراسلات بالقصر الإمبراطوري لمانويل الأول حتى عام ١١٥٩م وأُتُّهِمَ بالهرطقة . وقد أثار العديد من المناقشات اللاهوتية حول موضوع تحول الخبز والنبيذ إلى جسد المسيح ، مما سبب انقسام الكنيسة أيام البطريرك يوحنا العاشر John X (كاماتيروس) انظر: دونالد نيكول , معجم التراجم البيزنطية ,ترجمة وتعليق حسن حبشي ,القاهرة،٢٠٠٣, ص ٢٢٧.

Kazhdan , A ., "Glykas Michael" , *Oxford Dictionary of Byzantium* , p.855

(109)Michael Glycas, *Annales* IV, ed. I. Bekker, *CSHB*, (Bonn :1836), , p. 621.

(110 )*Synopsis Chronike*, ed. K. N. Sathas, *Mesaionike Bibliotheke* (Venice :1872–94; repr. Athens :1972) II, pp. 177-78.

هو تأريخ عالمي يعود إلى القرن الثالث عشر، يتألف من جزأين، الجزأ الأول يمتد من بدء الخليقة وحتي اعتلاء الإمبراطور ألكسيوس كومنينوس عرش الإمبراطورية البيزنطية عام ١٠٨١م، والجزء الثاني يمتد من عام ١٠٨١م وحتى عام ١٢٦١م، تم تحريره ونشره من قبل العالم اليوناني كونستانتينوس ساتاس Konstantinos Sathas في عام ١٨٩٤م.

Zafeiris, Konstantinos," The Synopsis Chronike and hagiography: the presentation of Constantine the Great". In Macrides, Ruth (ed.). *History As Literature in Byzantium: Papers from the Fortieth Spring Symposium of Byzantine Studies*, (University of Birmingham2010),pp.237-252, esp.238.

(111 ) Janin, R., *Les Eglises Et Les Monasteres Des Grands Centres Byzantins*, 2, (Paris: 1975), p. 567; J. B. Bury, *The Imperial administrative*, p. 103

(112 )Michael Glykas , *Annales* ,p.621

(113) Gregory the Cellarer ,*The Life of Lazaros* , p.35;Oikonomides, N.,'St George of Mangana, Maria SkIeraina, and the "Malyj Sion" of Novgorod', Dumbarton Oaks Papers, 34/5 (1980-1),pp.239-246.

(١١٤) ألكسيوس أريستينوس: أصوله غير معروفة نسبيًا ، على الرغم من المكانة المهمة التي احتلها في عصره في الدولة والكنيسة خاصة في عصر أسرة كومنينوس، أصبح شماسا للكنيسة العظيمة في عهد يوحنا الثاني كومنينوس، اشتهر بمهارته الخطابية والتي مارسها في كل من المحاكم المدنية والكنسية .

Georges et Demetrios Tornikès, *Lettres et Discourse*, Inrtoduction, Texte, Analyses, Traduction et Notes by. J. Darrouzes (Paris :1970), p.53 ;Christie, Albany James, "Alexius Aristenus". In William Smith (ed.) *Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology, (*Boston: 1867),p.31

(115 )Paul Magdalino" Innovations in Government', p.160

(116)Comnene , *The Alexiad*, p.289.

(١١٧) آنا كومنينا، الألكسياد،ص٦١٧.

(118)Lyn Rodley, 'Tha Art and Architecture of Alexios I Komnenos', pp.352-353; Janin; La Géographie ecclésiastique, pp.399-400.

(١١٩) آنا كومنين، الألكسياد، ص٦١٧.

(120) Nicholas Kataskepenos, *La Vie de Saint Cyrille le Philéote*,pp. 229-231; Browning, Robert, *The Byzantine Empire* (London: Weidenfeld and Nicolson: 1980), pp.119-20.

(121 )Georgina Buckler, *Anna Comnena* (London, 1929), p. 121; Oeconomos, *Vie Religieuse,* pp. 195-96.

(122 ) Cecily Hennessy," Young People in Byzantium",In: *A Companion to Byzantium*, ed. Liz James(Blackwell: 2010),pp.81-92,esp.84.

(123)*Synopsis Chronike*,pp. 177-178

(124 )Comnene , *The Alexiad*, p.289;Lyn Rodley, 'Tha Art and Architecture of Alexios I Komnenos',p.351

(125 ) Demetrios J . Constantelos , *Byzantine Philanthropy*, p. 247

(126 )Bury, *The imperial administrative System in the ninth century*., pp.103-105;. Demetrios J . Constantelos, *Poverty, Society and Philanthropy*,p.129

وفي عام ٤٧٢م، صدر قانون الإمبراطور ليو Leo وفيه أول إشارة لشخصية مسئول دار الأيتام، ووجه بضرورة أن يمتلك هذا الشخص بعض المعرفة بالقانون الرومانى، واشترط أن يكون وصيًا على كل الأطفال الصغار" القصر" المقيمين في دار الأيتام، وأن يظل هؤلاء الأطفال تحت وصايته في المحاكم حيث تم تفويضه في حمايتهم وحقوقهم وممتلكاتهم وأى أعمال إدارية ربما يشتركون فيها، وأعفي القانون أيضًا مدير دار الأيتام من تقديم أي تدقيق للحسابات التجارية فيما يتعلق بممتلكات الأيتام التي تحت إشرافه. وفضلًا عن ذلك، فقد أكد القانون، على أنه يجب على المسئول عن دار الأيتام، أي يعمل كأب محب لكل الأيتام.

Codex Justinianus. Edited by Paul Krüger. (Berlin: Weidemann: 1929); reprint, 1952, JCod, 1.3.31 32.

وفي عهد الأسرة الأيسورية خاصة في عهد الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري (٧١٧-٧٤١م) وابنه الإمبراطور قسطنطين الخامس الأيسوري (٧٤١-٧٧٥م) مُنح مسئول دار الأيتام صلاحيات كبيرة إلى درجة أنه أصبح قاضيًا، وأُصدرت تشريعات خاصة تؤكد ذلك، واستمر المسئولون عن دار الأيتام في العمل بالقضاء وكانوا يقومون بتعيين الأوصياء حتي نهاية القرن التاسع الميلادي، عندما قام الإمبراطور ليو السادس بتعديل قوانين الوصاية في خطته الإصلاحية لتغيير النظام القانوني للأباطرة الأيسوريين، وكنتيجة لتشريعات الإمبراطور ليو، فقد تولي الكويستور Quaestor- المسؤل عن النفقات العامة -المسئولية في الحالات التي تشتمل على الأيتام ومعلميهم أو الأوصياء عليهم، وعلى الرغم من ذلك فقد استمر المسؤلون عن دار الأيتام في القيام بمهامهم كأوصياء.

Ecloga. Ecloga: *Das Gesetzbuch Leons III. und Konstantinos' V*. Forschungen zur byzantinischen Rechtsgeschichte, 10. Edited by Ludwig Burgmann. Frankfurt: (Löwenklau: 1983),7 , p.198; Timothy S. Miller , *The Orphans of Byzantium*,p.203

(127 )John Haldon, *The Palgrave Atlas of Byzantine History* (New York: 2005), p.85.

(128 )Magdalino, Paul, " Innovations in Government", p.156.

(129 )J. Nesbitt, St. Zotikos and the Early History of the Office of Orphanotrophos n Byzantio Kratos kai Koinonia: Mnēmē Nikou Oikonomidē., edited by : Abramea, Anna & Laiou, Angeliki E. & Chrysos, Evangelos K , Athena (2003) , pp.417-422;L. Bréhier, *Les Institutions*, p.526.

(١٣٠) راهبٌ بيزنطيٌ وعالمٌ وكاتبٌ وفيلسوفٌ وسياسيٌ ومؤرخٌ. وُلد في القسطنطينية لعائلة متوسطة الحال، وتلقى تعليما راقيا، واشتهر كفيلسوف وليس كعالم ديني. وقد بدأ ميخائيل بسللوس حياته الوظيفية سكرتيرًا في البلاط البيزنطي في عهد الإمبراطور ميخائيل الخامس (١٠٤١-١٠٤٢م)، ثم بلغ ذروة حياته العلمية في عهد الإمبراطور قسطنطين العاشر (١٠٥٩-١٠٦٧م)، وابنه ميخائيل السابع دوقاس (١٠٧١-١٠٧٨م) الذي كان ميخائيل بسللوس معلمًا له، كان واحدًا من أكثر المثقفين والأكثر إنتاجًا حيث شملت أعماله الكتابات التاريخية والأطروحات، والتعليقات الفلسفية، الكتابات اللاهوتية، والقصائد، والخطب، قام بتدريس جميع فروع الفلسفة وخاصة الأطروحات المنطقية لأرسطو، ويعد رائدًا للنهضة الثقافية في الإمبراطورية البيزنطية خلال القرن الحادي عشر الميلادي

Kazhdan, A., "Psellos, Michael" , *Oxford Dictionary of Byzantium*, pp. 1754-55; Duffy J Hellenic philosophy in Byzantium and the lonely mission of Michael Psellos. In: Ierodiakonou K (ed) *Byzantine philosophy and its ancient sources* (Oxford: 2002), pp 139–156 Moutafakis ,N .J., *Byzantine Philosophy*, Hackett Publishing, (2003), p.129.

طارق منصور، *قطوف من الفكر البيزنطي*،ص١٩.

(131)Psellos, Ep. *Michaelis Pselli scripta minora*: Vol. II. Epistulae. Edited by Eduardus

Kurtz and Franciscus Drexl. (Milan: 1941), Ep. 240, pp. 290–91.

(132)Timothy S. Miller , *The Orphans of Byzantium*,p.206

(133)Mergiali-Falangas, Sophia, "L'Ecole Saint Paul de l'Orphelinat à Constantinople: bref aperçu sur son statut et son histoire, "*Revue des Etudes Byzantines* 49 (1991),pp. 237–246,esp.241.

(134 ) Constantine Porphyrogennetos, *The Book of Ceremonies* , Trans. Ann Moffat and Maxeme Tall, WthThe Greek edition of the Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae( Bonn, 1829) , Volume 1, Book I, (Canberra : 2012), pp.171-172.

(١٣٥) شاعر القرن الثاني عشر الميلادي ، كان شاعر البلاط الإمبراطوري للإمبراطورة إيرينى ديوكاينا وابنها يوحنا الثاني كومنينوس وحفيدها مانويل الأول، ثم انخرط في سلك الرهبانية وسمي نفسه "نيكولاس"، وإنتاجه الفكري بالغ الضخامة ومنه رواية شعرية بالهلينية اسمها رودانث و دوسيكليسRodanthe and Dosikles وملحمة تعرف بالقطط والفئران وهي درامة شعرية، وتوجد له بعض المؤلفات الفلسفية والخطب. انظر : دونالد نيكول,*معجم التراجم*، ص، ٢٠٠-١.

Rosser , John. H ., *Historical Dictionary of Byzantium*, (Scarecrow Press, 2001), pp.333-4.

(136)Prodromos Theodore. "Eisiterios" In *Patrologia Graeca* 133, (1864) cols. 1268-74; Georges et Demetrios Tornikès, *Lettres et Discourse*, p.56; R . Macrides , ' Nomos and Kanon on paper and in court ' , In: *Church and people in Byzantium* , ed. Rosemary Morris , Centre for Byzantine, Ottoman and Modern Greek Studies in the University of Birmingham (1986), pp.61-86, esp.71-72;Timothy S. Miller," Two Teaching Texts from the Twelfth-Century Orphanotropheion", In: *Byzantine Authors: Literary Activities and Preoccupations : Texts and Translations Dedicated to the Memory of Nicolas Oikonomides*, ed. John W Nesbitt, (leiden, boston: brill 2003), pp.9-22,esp.19.

(١٣٧) كان مسؤولاً يشرف على جميع الإدارات المالية للإمبراطورية البيزنطية خلال عصر أسرة كومنينوس، أنشأ هذا المنصب الإمبراطور إلكسيوس كومنينوس في محاولة منه لتحسين التنسيق بين مختلف الإدارات المالية، وقد ارتقي صاحب هذا المنصب إلى مكانة مرموقة بين الإداريين المدنيين وأطلق عليه لقب الأعظم megas دلالة على أهميته، وتعددت اختصاصاته ومهامه خلال تلك الفترة.

Guilland, Rodolphe Les Logothètes . Études sur l ' histoire administrative de l ' *Empire byzantin* ' , *Revue des études byzantines* 29 ( 1971 ) , 5 - 115 esp.75-78.

(138) Paul Stephenson," The Rise of the Middle Byzantine Aristocracy and the Decline of the Imperial State ",p.28; Oikonomides, N. "L'évolution de l'organisation ",pp.140-141.. Oikonomides, N. (2002) "The Role of the Byzantine State in the Economy," In: Angeliki E . Laiou ( ed . ), *The Economic History of Byzantium* (Washington: 2002b), pp. 973–1058,esp.994-995.

(139 ) Oikonomides, ' L'évolution de l'organisation ', pp.131, 135; Cheynet J. -C . , Pouvoir et contestations à Byzance ( 963-1210 ), (Paris: 1990),p. 359ff

(140 )R . Macrides , ' Nomos and Kanon on paper and in court ',p.72.

(١٤١)كان مكتبًا قضائيًا بيزنطيًا تم توثيقه في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، واكتسب شهرة كبيرة في عهد الإمبراطور ألكسيوس كومنينوس الذي منحه صلاحيات كبيرة، وفى عام ١٠٩٤م تم إثبات الدكايودوتس كمكتب متميز يترأس إحدى المحاكم الرئيسة للإمبراطورية البيزنطية في القسطنطينية، وإن كانت مهامه على وجه الدقة غير معروفة ، لكن المكتب كان من بين أهم المكاتب في الإدارة المدنية خلال فترة وجوده.

Alexander Khazdan," Dikaiodotes", *The Oxford Dictionary of Byzantium*, p.624

(142 )George et Demetrios Tornikes: Lettres et Discours, pp. 54–56.

(143) George et Demetrios Tornikes: Lettres et Discours, pp.53-56.

(١٤٤) ينتمي إلى واحدة من العائلات النبيلة ، ولُقب بنيقتاس الخونياتى نسبة إلى مدينة خوناي Chonai مسقط رأسه ، ونال حظوة كبيرة في البلاط البيزنطي. وقد تلقى تعليماً راقياً في القسطنطينية، ثم دخل الخدمة المدنية، وعمل سكرتيرًا في عهد الأباطرة ألكسيوس الثاني(١١٨٠-١١٨٣م) وإسحاق الثاني أنجليوس(١١٨٥-١١٩٥م) . وفى عام ١١٨٩م عُين حاكمًا لإقليم فيليبوبوليس Philippopolis في تراقيا، لكنه فقد كل شيء بعد استيلاء اللاتين على القسطنطينية عام ١٢٠٤م، ولم يجد ملاذًا إلا في نيقية مع الإمبراطور ثيودور الأول لاسكارس " "Theodore I Laskaris(١٢٢١-١٢٠٥م) .

Ostrogorsky,G., *History of The Byzantine State* , (Rutgers University Press: 1986), p.312

دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ترجمة وتعليق، د حسن حبشي، القاهرة ٢٠٠٣، ص ٢٣٥-٢٣٦.

(145)Niketas Choniates, *Orationes et epistulae*, ed. Jan-Louis van Dietan (Berlin: De Gruyter 1973), Oratio 15: pp.147-151; Timothy S. Miller, "The Orphanotropheion of Constantinople,"p.103.

(١٤٦) آنا كومنينا، الألكسياد، الكتاب الخامس عشر, ص ٦١٩.

(١٤٧ ) مصطلح عام يطلق على رجال الدين أو العلمانيين اللذين كانوا يعملون كأساتذة ، وهو المصطلح الذي اقترن بالرجال التابعيين للمدرسة البطريركية في آيا صوفيا سواء في التعليم أو الإيمان أو تفسير الكتاب المقدس، وقد حدد الإمبراطور ألكسيوس كومنينوس واجباتهم الرئيسية في مرسوم عام ١١٠٧م بتجنيد رجال الدين أو الرهبان أو العلمانيين اللذين لديهم الفضيلة ولهم القدرة على التعليم ، وتأكدت واجباتهم في التفسير والوعظ.

Macrides, R. J. , "Didaskalos" , *Oxford Dictionary of Byzantium* , p . 619.

(١٤٨) تشير الكلمة حرفيا إلى المرشد أو الوصي المكلف برعاية الأطفال الصغار، وعادة ما تكون مهمة هذا الشخص الرئيسة هي التأكد من أن الشاب المسؤول عنه يذهب إلى المدرسة بانتظام وفي الوقت المحدد، كان متخصصًا في الانضباط، وغالبًا ما كان يتم تصوير البيداغوجوس على أنه رجل يحمل عصا في يده ، وعلى استعداد لضرب الصبي غير المطيع.

Gene A. Getz, Loving One Another, (David C Cook: 2002), p.12

(149)John Zonaras , *Epitome*, pp. 744-745.

(150 )Timothy S. Miller, "The Orphanotropheion of Constantinople,"p. 85.

(151) Sophia Mergiali-Falangas, " *L'école Saint-Paul de l'Orphelinat à*

*Constantinople* " p.239 ; Lemerle, P.,*Élèves et professeurs à Constantinople au xe siècle*, Lecture faite dans la séance publique annuelle de l'Académie des Inscriptions du 28 nov. 1969, Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, (Paris: 1969), pp. 3 , 14.

(152 ) John Zonaras , *Epitome*, p. 745

(153) *La Vie de Saint Cyrille le Philéote,*pp. 225-31; Timothy S. Miller, "The Care of Orphans in the Byzantine Empire,"p.130.

(154)*La Vie de Saint Cyrille le Philéote*, pp.229-31.

(155 )Comnene , *The Alexiad*, p.291

(156)Richard B. McKenzie , *Home Away from Home: The Forgotten History of Orphanages* , (Encounter Books:2009 ), p.35

(157)L. Petit "Monodie de Theodore Prodrome sur Etienne Skylitzes metropolitain de Trebizonde,", *Bulletin de I'institut archeologique russe lz Constantinople* 8 (1903):pp.1-14,esp. 7; Timothy S. Miller , *The Orphans of Byzantium,* p.222.

(158 ) Tornikès, "Éloge d'Anne Comnène." In Jean Darrouzès, ed., George et Dèmetrios

Tornikès: Lettres et discours, (Paris: 1970),pp.220-323,esp.319

(١٥٩) رجل دين وبليغ بيزنطي ومؤلفُ غزيرٌ الأطروحات الكنسية والرسائل والشعر، ولد في منتصف القرن الثاني عشر وتاريخ وفاته غير معروف .يتضح من كتاباته أنه أصبح شماساً ونائباً في المدرسة البطريركية في القسطنطينية، تتعلق أعمال ستيلبس في الغالب باللاهوت ، وأشهرها بين العلماء هو كتابه "أخطاء الكنيسة اللاتينية".

Abulafia, David ,*The New Cambridge Medieval History c.1198-c.1300*. (Cambridge University Press: 1999). p. 542; Angold, M., *The Fourth Crusade: Event and Context.* (Longman: 2003). pp. 201–202.

(160 ) Synopsis chronike,p.177-178; Timothy S. Miller , *The Orphans of Byzantium,* p.223

(161)Timothy S. Miller, The Orphanotropheion of Constantinople,p.85.

(162)Comnene , *The Alexiad*, p.291

(163 Timothy S. Miller, The Orphan, p.227

(164)Psellos, Ep. *Michaelis Pselli scripta minora* ,p. 20 .

(165) Timothy S. Miller, The Orphan, p.228; Eugenianos. "Monodie." "Monodie di Nicétas Eugénianos sur Théodore Prodrome." Edited by L. Petit. Vizantijskij Vremennik 1 (1902): 446–463. pp. 461-462.

(166 ) Comnene , *The Alexiad*, p.291

(167)Costantino Stibes: *La prolusione del Maestro dell' Apostolo*, ed. Lia Raffaella Cresci, Letteratura e civiltà bizantina, 2 (Messina: 1987), 48. Robert Browning, "The Patriarchal School at Constantinople in the Twelfth Century," *Byzantion* 32 (1962): 167-76; 33 (1963): 22, 26

(168)John Zonaras , *Epitome*, p.745

(169)Browning, R,.Enlightenment and repression in Byzantium in the eleventh and twelfth centuries, *Past and Present* 69, (1975), pp. 3-23,esp.4

(170 ) Lefort, J., "Prooimion de Michel neveu de l'archevêque de Thessalonique, didascale de l'Évangile", *Travaux et Mémoires* 4, (1970),pp.375-392,esp. 382.

(171) J. Diethart, Der Rhetor und Didaskalos Konstantinos Stilbes, Dissertation, Vienne 1971, p. 37102103; Browning, R.,"The Patriarchal school at Constantinople"p.171

(172)Basilakes, *Adversus Bogoam*. Nikephoros Basilakes, Adversus Bogoam, in Nicephori Basilacae orationes et epistolae, . Edited by Antonius Garzya. (Leipzig: 1984),pp.92-100

(173 )Timothy S. Miller , *The Orphans of Byzantium*, pp.239-241.

(174 )Basilakes, Adversus Bogoam, p.101

( 175) رجل دين بيزنطي وعالم لاهوت، كان في الأصل شماسًا في آيا صوفيا، ثم أصبح ولفترة وجيزة البطريرك المنتخب لأنطاكية في ١١٥٦-١١٥٧م.

Khazdan,A., *Change in Byzantine Culture in the Eleventh and Twelfth Centuries, p.160*

(176 ) Magdalino, P. The Empire of Manuel I Komnenos, 1143-1180, pp.277-284; Magdalino, Paul. "The Bagoas of Nikephoros Basilakes: A Normal Reaction?" In Laurent Mayali and Maria M. Mart, eds., Of Strangers and Foreigners (Late Antiquity–

Middle Ages),( Los Angeles: University of California Press:1993.) pp. 47–63

(177 )Jus Graecoromanum. volumes. Edited by Karl E. Zachariä von Lingenthal and prepared by Ioannes and Panagiotes Zepos . Athens: Phexi and Son, 193; reprint, Aalen, 1926, Novel 19 (Alexios I), 1: 292–96.

(178 )Novel 44 (Alexios I), , 1: 361–362.

(179)Timothy S. Miller , *The Orphans of Byzantium*,p.145

(180 )Mark C. Bartusis, *The Late Byzantine Army: Arms and Society, 1204-1453*, (University of Pennsyvania Press: 1992), p.206

(181 )Kyriakidis, Savvas,' Army Structure: Roman Continuity and Byzantine Change',In: *A Companion to the Byzantine Culture of War, ca. 300-1204*, ed. Yannis Stouraitis, Vol.3, Leiden – Boston: 2018),pp.229-258,esp.251.

(182 )Birkenmeier, John W. (2002). The Development of the Komnenian Army: 1081–1180. Boston, Massachusetts: Brill, pp.158-9;Kühn, Hans-Joachim (1991). Die byzantinische Armee im 10. und 11. Jahrhundert: Studien zur Organisation der Tagmata (in German). Vienna: Fassbaender Verlag, p.250;

(183 )Comnene , *The Alexiad*, p.128.

(184 )Haldon, J., Warfare, State and Society in the Byzantine World, 565-1204,( London: 1999) p.94;A. Hohlweg, *Beiträge zur Verwaltungsgeschichte des oströmischen Reiches unter den Komnenen* (Munich: 1965), p.64-80.

(185 )Comnene , *The Alexiad*, p.129

آنا كومنينا، الألكسياد، ص٢٩٤.

(١٨٦) كلمة يونانية تعني الرعاية، وهي نظامٌ لمنح تدفقات مخصصة من دخل الدولة للأفراد والمؤسسات في أواخر الإمبراطورية الرومانية الشرقية .بدءًا من القرن الحادي عشر واستمر حتى غزو الإمبراطورية في القرن الخامس عشر، هذه الحقوق في الغالب ضرائب أو دخل من الأراضي المزروعة ، ولكنها يمكن أن تكون أيضًا مصادر دخل أخرى، كانت المنح لفترة محددة ، عادة مدى الحياة ، وقابلة للإلغاء حسب رغبة الإمبراطور، ويشار إلى أن الإمبراطور إلكسيوس هو من أنشأ هذا النظام.

Frederick Lauritzen, Leichoudes' pronoia of the Mangana, Zbornik Radova Vizantinoloskog Instituta 55 (2018), pp. 81-96, esp.82-83.

(187) Mark C. Bartusis, *The Late Byzantine Army*, p.206